الحملة الفرنسية

بين الأسطورة والحقيقة

عدد ممتاز

كتاب الهلال

د. ليلى عنان

الكتاب رقم ٥٠٠ من السلسلة

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد
نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش
رئيس التحرير : مصطفى نبيل
سكرتير التحرير : عادل عبد الصمد

مركز الإدارة :

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب . تليفون . ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط
KITAB AL-HILAL
NO – 500 - au - 1992 العدد ٥٠٠ صفر - اغسطس ١٩٩٢
FAX 3625469 : فاكس

اسعار البيع فى الخارج لكتاب الهلال اغسطس فئة ١٧٥ قرشا

سوريا ١٠٠ ليرة ، لبنان ٣٢٠٠ ليرة ، الأردن ١٥٠٠ فلس ، الكويت ١٠٠٠ فلس ، السعودية ١٢ ريالاً ، تونس ١٫٥ دينار ، المغرب ٢٠ ردهماً ، البحرين ١٠٠٠ فلس ، قطر ١٠ ريالات ، دبى ١٠ دراهم ، سلطنة عمان واحد ريال ، الجمهورية اليمنية ٣٥ ريالاً ،

الحملة الفرنسية
بين الأسطورة والحقيقة

الغلاف للفنان :
حلمى التــونى

بسم الله الرحمن الرحيم

« .. رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى .. »

صدق الله العظيم

مقـــدمة

موريس بيچار ، الذى يعتبر من أكبر مصممى الباليه الحديث فى العالم ، حضر الى مصر ليقدم حفلاته فى دار الأوبرا . وبهذه المناسبة ، صمم رقصة جديدة ، تحكى تاريخ مصر . وقد عرضت فى ليلة ١٩ من شهر مايو سنة ١٩٩٠ . وإنتقى بيچار من التاريخ ، ما يراه قد أثر تأثيرا كبيرا على الشعب المصرى ، فبدأ بأوزيريس ، ثم انتقل الى ذى النون ، ثم العصر العثمانى ، وفجأة ، فوجىء المشاهد بسماع الموسيقى تصدح بإنشودة الفرحة من السيمفونية التاسعة لبيتهوفن ، وهذه الأنشودة لها معنى معين ، يذخر بالتفاؤل وبالسعادة التى تبشر بها . وإذ ببونابرت يدخل على المسرح ، ويرقص ويرقص ويرقص . وانتهى من رقصته بعد مدة طويلة ، وإذ بالشباب العربى والمصرى الموجودين على خشبة المسرح ، يلتفون حوله ، ويقبلونه ويهنئونه .

ثم مرت الأيام ، وقدم لنا التليفزيون المصرى ، فى ليلة ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٩١ ، سهرة من دار الأوبرا أيضا ، لرقصة أخرى ، اسمها « ليالى أبو الهول الثلاث » ، وهى قصة مصر مرة

أخرى ، كما يراها فى هذه المرة ، مخرج عربى لبنانى الجنسية . وإذ بنا نفاجأ ، مرة أخرى ، ببونابرت الذى ظهر فى هذا السرد السريع ، الذى يحكى قصة عشرة آلاف سنة من تاريخ مصر فى ساعات قليلة ، ويرقص بونابرت ويرقص ويرقص . ثم يدخل محمد على ، ويرقص معه ، والحقيقة تقال أننا لم نفهم إن كانا يتعانقان أم يتصارعان ، مع أنهما فى حقيقة الأمر والتاريخ ، لم يتقابلا شخصيا أبدا . ولكن العجيب أن يقدم بونابرت بهذه الصورة ، بينما الأحداث الجسام فى تاريخ مصر لا حصر لها ، وكان لها من التأثير على تكوين الشخصية المصرية ، ما غيّر وجه مصر كلية ، مثل دخول المسيحية فى القرن الميلادى الأول ، ودخول العرب والاسلام فى القرن السابع ، ثم العثمانيين فى القرن السادس عشر ، ثم الانجليز الذين مكثوا إثنين وسبعين عاما . ولكن السنوات الثلاث (وعليها شهران) ، التى قضتها الحملة الفرنسية ، بدت لمصممى هذه الرقصات ، ولكثير من المؤرخين ، أهم بكثير من هذه الأحداث ، بينما بونابرت نفسه لم يمكث فى مصر إلا أربعة عشر شهرا لا غير .

ليلى عنان

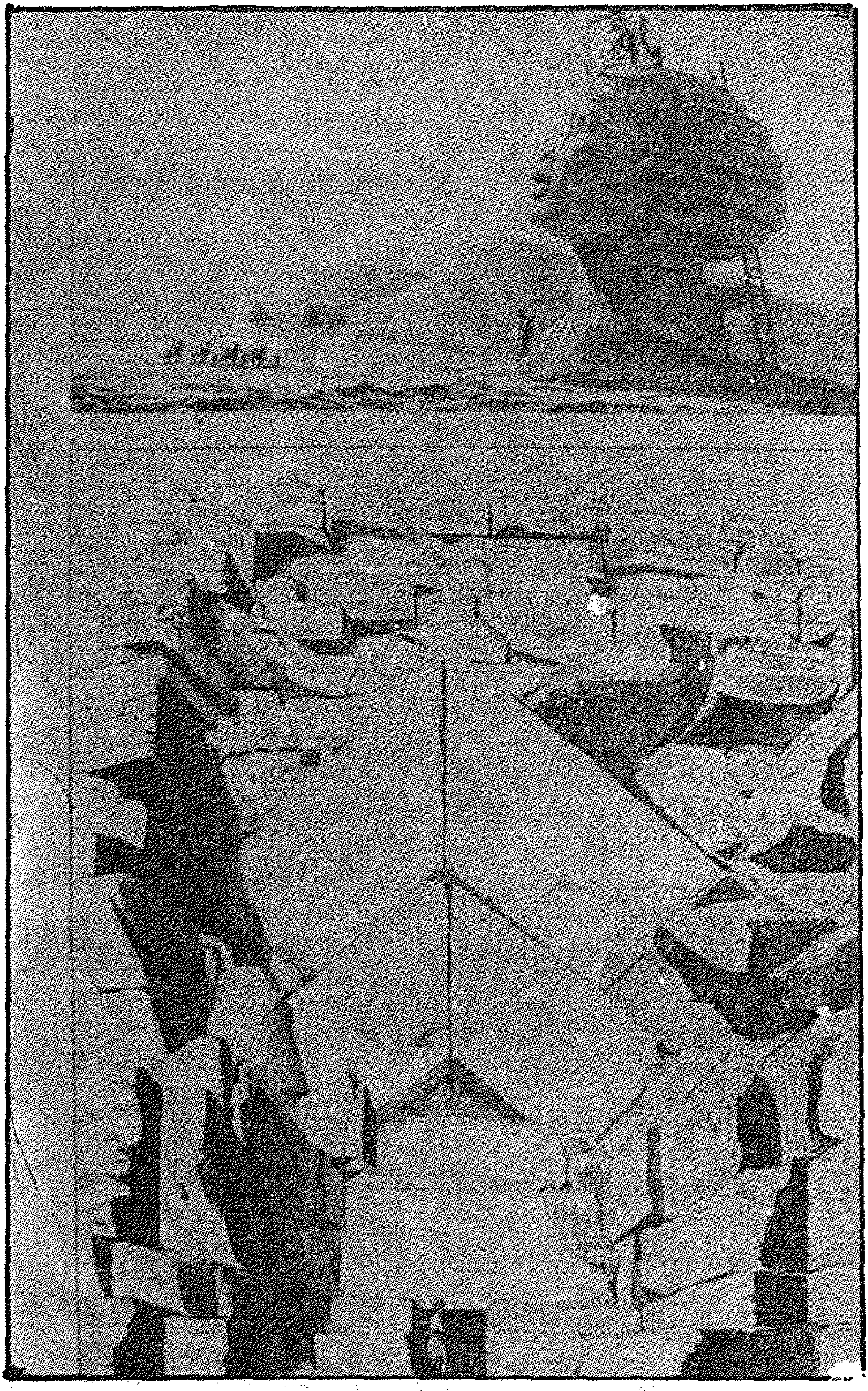

صورة جانبية لأبى الهول ، تشير الى حالة تحطمه
وخصوصية ملامح هذا الوجه فى الأجزاء المتبقية

نزل الجيش الفرنسي في الاسكندرية في اليوم الأول من شهر يوليو سنة ١٧٩٨ ، وسافر بونابرت سرا عائدا الى فرنسا في أغسطس ١٧٩٩ ، وسلمت الحملة الفرنسية مدينة القاهرة في يونيو ١٨٠١ ، وسافر مينو مع ما تبقى من الجيش في سبتمبر ١٨٠١ . وما بين هذه الأيام ، سجل حافل من الحروب والثورات والمقاومة المستمرة في مصر السفلي والعليا والقاهرة ، وقد أخذ بونابرت جنده حتى فلسطين ، وعاد مهزوما وقد فهم أن الحلم لا أمل في تحقيقه . وفشلت الحملة في كل أهدافها .

ونتساءل من أين جاءت إذن هذه الأهمية القصوى التي تجعل حملة بونابرت تأخذ هذا النصيب من الاهتمام وسط تاريخ يمتد لأكثر من عشرة آلاف عام . وقد تساءل قبلنا مؤرخ فرنسي قائلا : « لو لم يكن بونابرت قائدا لهذه الحملة ، أكنا سمعنا عنها وكان لها هذا القدر من الدراسة ؟ » والاجابة على هذا التساؤل

واضحة لمن يعرف أن فرنسا أرسلت ، بعد حملتها على مصر ، حملة أخرى الى سان ـ دومنج ، شديدة الشبه بالحملة على مصر ، ولم تثر أى انتباه ، ولا يسمع حتى عنها إلا المتخصصون .

وهناك طبعا حقيقة يجب مراعاتها إذا ما طرحنا سؤالنا هذا . هو أن بونابرت نفسه كان ، ولايزال ، أسطورة . كان أسطورة منذ أول حملة قام بها كقائد عام للقوات الفرنسية التى فتحت ايطاليا قبل الحضور الى مصر مباشرة . وهناك مناقشة حول حقيقة عبقريته الحربية ، ولكن ما من أحد يشك فى حقيقة عبقريته الإعلامية ، ومن يدرس كيف ساعد هو نفسه على خلق أسطورته ، وهو مع جيش ايطاليا ، يفهم أن كل ما يمسه لابد أن يأخذ أكثر من حقه بكثير ، ونبذة سريعة تشرح لنا ما كان يفعله : فمثلا ، أخذ من ايطاليا خمسين مليونا ، لم يرسل منها الى حكومة الإدارة إلا عشرة ، وأنشأ بهذا المال الوفير ثلاثة جرائد تتغنى به وبعبقريته وانتصاراته الباهرة (وبعضها كان كاذبا) ، جرائد توزع بالمجان على القراء ، فى جيشه وفى باريس . وبعد وفاته ، أخذ جنده المسرحون ، تحت تأثير حنينهم الى الماضى ، يقصون الأساطير عنه ، بينما السياسيون والمثقفون فى حالة استياء شديد من حكم آل بوربون الذين عادوا الى الحكم . فأخذ الجميع يذكرون أيام المجد العسكرى ، أيام نابليون ، حتى الجمهوريون الذين

حاربهم طوال حياته ، بل كاد أن يقضى عليهم . وأخذ الشعراء والمؤلفون يقصون أمجاده ، وما كانت تتمتع به فرنسا من سلطة على أوربا أيام حكمه الدكتاتورى . وقد نُسى كل شىء ولم يتبق إلا ذكرى الانتصارات الحربية ، حتى أن الكاتب شاتوبريان والشاعر لامارتين ، اللذين عملا بالسياسة ، قالا أن هذا يدل على أن الشعب الفرنسى ، المولع بالحرية ، لا يحب فى الحقيقة هذه الحرية التى يتغنى بها طول الوقت .

والسبب الآخر الذى قد يجيب أيضا باقتضاب شديد على سؤالنا ، هو صورة مصر في أعين الأوربيين فى نهاية القرن الثامن عشر ، مصر فى ذلك الحين ، كانت أسطورة تقع فى نهاية العالم ، وكأنها القمر أو المريخ فى عصرنا الحالى . ومن يذهب اليها كان يحكي العجائب التى رآها فيها ، حتى أن الأوربيين ظنوا أن مصريى ذلك الحين لا يختلفون عن الهنود الحمر عندما اكتشفهم كريستوفر كولومبوس . وكان هذا هو بالضبط شعور من اشترك فى الحملة مع بونابرت . وكان اسم مصر مرتبطا أيضا بهزيمة الملك لويس التاسع أثناء الحروب الصليبية فى القرن الثالث عشر . ويجعل هذا من يفكر فيها يفكر أيضا فى الانتقام لهذه الهزيمة المنكرة . وكان المؤلفون يكتبون القصص عن مصر الفرعونية ، مهد الحضارة وبلد العلم والحكمة ، وكهنة الأهرامات الذين يحتفظون

بأسرار الكون والمعرفة وكأن مصر هى الجنة المفقودة للبشرية الجاهلة ، بعد أن فقد الانسان أسرار حكماء مصر .

أما المسافرون الذين نشروا كتبا عن رحلاتهم فكان أشهرهم سافاري الذى أحب كل شيء فى مصر ، وفولنى الذى كره كل شيء فيها . ولكنه كان ينصح باستعمارها ، لأن السلطة العثمانية أصبحت صورية فيها ، ولم يعد أحد يمتلك هذا البلد ، فعلى فرنسا أن تقطف ثماره ، قبل أن يستولى عليه غيرها .

وكان مشروع استعمارها مشروعا قديما ، منذ أن عرضه لايبنتز على لويس الرابع عشر فى نهاية القرن السابع عشر . وكان مهندس تركى فى القرن السادس عشر قد وضع مشروع شق قناة بين البحرين الأبيض والأحمر ، وقد عرضت فرنسا على تركيا أن تقوم بتنفيذ هذا المشروع ، ورفض السلطان هذا العرض ثلاث مرات ، ثم توالت الأحداث ، وفقدت فرنسا كل مستعمراتها فى القرن الثامن عشر ، وكانت الحرب ضد انجلترا ضارية ، فقررت حكومة الإدارة ، فى عام ١٧٩٨ ، وبنصيحة وزير خارجيتها تاليران ، إيفاد بونابرت مع جيش مكون من أربعين ألف جندى الى مصر ، وكانت بداية الحملة .

وفشلت الحملة في كل أهدافها ، ولكن كل المؤرخين لا يتحدثون عنها – على الأقل حتى عام ١٩٨٠ – إلا وكأنها أسطورة

أضيفت الى أسطورة بونابرت ، الذى أصبح الامبراطور نابليون ، ولا يسعنا هنا الا الأشارة السريعة الى بعض ما قيل فى هذا الشأن ، فلم تكن الحملة قد حققت شيئا بعد ، حتى قال العلامة مونج فى إحدى خطبه ، فى يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٩٩ – أى بعد أربعة شهور فقط من وصول الفرنسيين الى الإسكندرية – قال أن « البدو تحت خيامهم يتغنون بأمجاد الجيش الفرنسى » . وعندما كتب المفكر الفرنسى الكبير شاتوبريان عن رحلته إلى الشرق ، فى عام ١٨٠٥ ، أكد أنه بهر بما رأى من آثار الحملة على مصر .. والعجيب أنه لم يفصح أكثر من هذا ، ولم نعرف شيئا آخر عن هذه الآثار التى بهرته . وكتب أيضا فيما بعد أن الحملة على مصر كانت أول شعاع نور يدخل ظلمات الإسلام . ولم يفصح هنا أيضا كيف ولماذا . وزخر القرن التاسع عشر بمثل هذه الأقاويل التى تحولت من شعر الشعراء وقصص القصاصين ، إلى حقائق يؤكدها المؤرخون حتى يومنا هذا . ونأخذ منها بضعة أمثلة عند المؤرخين المعاصرين لنا .

فهناك مثلا كلودين جروسير ، التى تكتب عن إسلام الرومانسيين ، وتؤكد أن الفلاحين فى ريف مصر ، والبدو ، يتغنون حتى الآن بأمجاد بونابرت وجيشه ، ولم تقدم أى مصدر لمثل هذه المقولة . ويؤكد الجنرال سپيلمان الذى ينشر كتابه عن الحملة سنة

١٩٦٩ ، أن المصريين يكرهون الإنجليز ، ويحبون الفرنسيين بسبب حملة بونابرت . فكان لابد لفرنسا أن تحتل هى مصر بدلا من انجلترا ، لأن المصريين كانوا سيستقبلونهم بالأحضان ولا يحاربونهم ، والعجب أنه يقول هذا بعد أن فشلت فرنسا فى الاحتفاظ بكل مستعمراتها ، بما فيها الجزائر ، وأن الجند الفرنسيين لم يستقبلوا بالأحضان سنة ١٩٥٦ . ويقول پاتر أن بونابرت أنشأ المعهد الفرنسى الذى نقل المصريين من عهد الى عهد ، ومن القرون الوسطى الى العصر الحديث ، وكأنه يجهل أن هذا المعهد أغلق مع رحيل الجيش سنة ١٨٠١ ، ولم يفتح مرة أخرى إلا فى عهد اسماعيل باشا ، بعد أن نقل محمد على مصر بالفعل من عهد إلى عهد . أما ترانييه ، الذى كتب هو أيضا مثل پاتر كتابا عن الحملة ، فهو يؤكد أن الأشعار التى كُتبت فى مصر فى تمجيد بونابرت ، يرددها الشعب المصرى حتى الآن ، ونكتها لاتزال تسكر من يستمع إليها ، والحق يقال إننا سمعنا من يتغنى بأدهم الشرقاوى من العصر الحديث ، أما بونابرت ، فمن سمع عن شعر يتغنى به ؟ ولكن ترانييه يؤكد هذا وكأنه سمعه هو بنفسه !

وقد يلخص الأمر كله فى جملة وجيزة ، نأخذها من قصة كتبت للأطفال ، عنوانها « فى مصر مع بونابرت » ، يتعجب فيها الجند عن حرب المصريين لهم ، ويقولون : « لماذا يهاجموننا ؟ لقد

أحضرنا لهم الحرية ... » وكأنها علبة مغلفة لا علاقة لها بما حدث من حرب وفتح وغزو . ولكن الأدهى أن أحد كبار المؤرخين المصريين كتب فى أحد مؤلفاته ، أن الجيش الفرنسى جاء الى مصر مستعمرا ، وفى الصفحة المواجهة بالضبط ، يقول أيضا إن الفرنسيين أحضروا لمصر الحرية ، ومن البديهى أنه لم يفطن إلى المفارقة الغريبة التى تنتج من تأكيده لهاتين المقولتين المتضاربتين .

وما هذه الحرية إلا جزء من الأسطورة الكبرى التى تؤكد أن الجيش علّم الشعب المصرى مبادىء الثورة ، وهى الحرية والأخوة والمساواة ، كما علم بونابرت المشايخ الحياة النيابية . وبالنسبة لهذه النقطة بالذات ، فحدث ولا حرج . وقد يكون الأستاذ جلال كشك قد رد على هذه النقطة بالذات فى كتابه « ودخلت الخيول الأزهر » ، وينسى هؤلاء أن الحرية بالذات مفهوم مرتبط ارتباطا وثيقا بالإسلام وبمصر بالذات ، عندما قال عمر بن الخطاب لعمرو ابن العاص « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » . وجاء هذا المعني بعد ذلك بقرون فى وثيقة حقوق الانسان الفرنسية، ولكن هؤلاء المؤرخين اعتبروا الحرية من هدايا الجيش الفرنسى للمصريين .

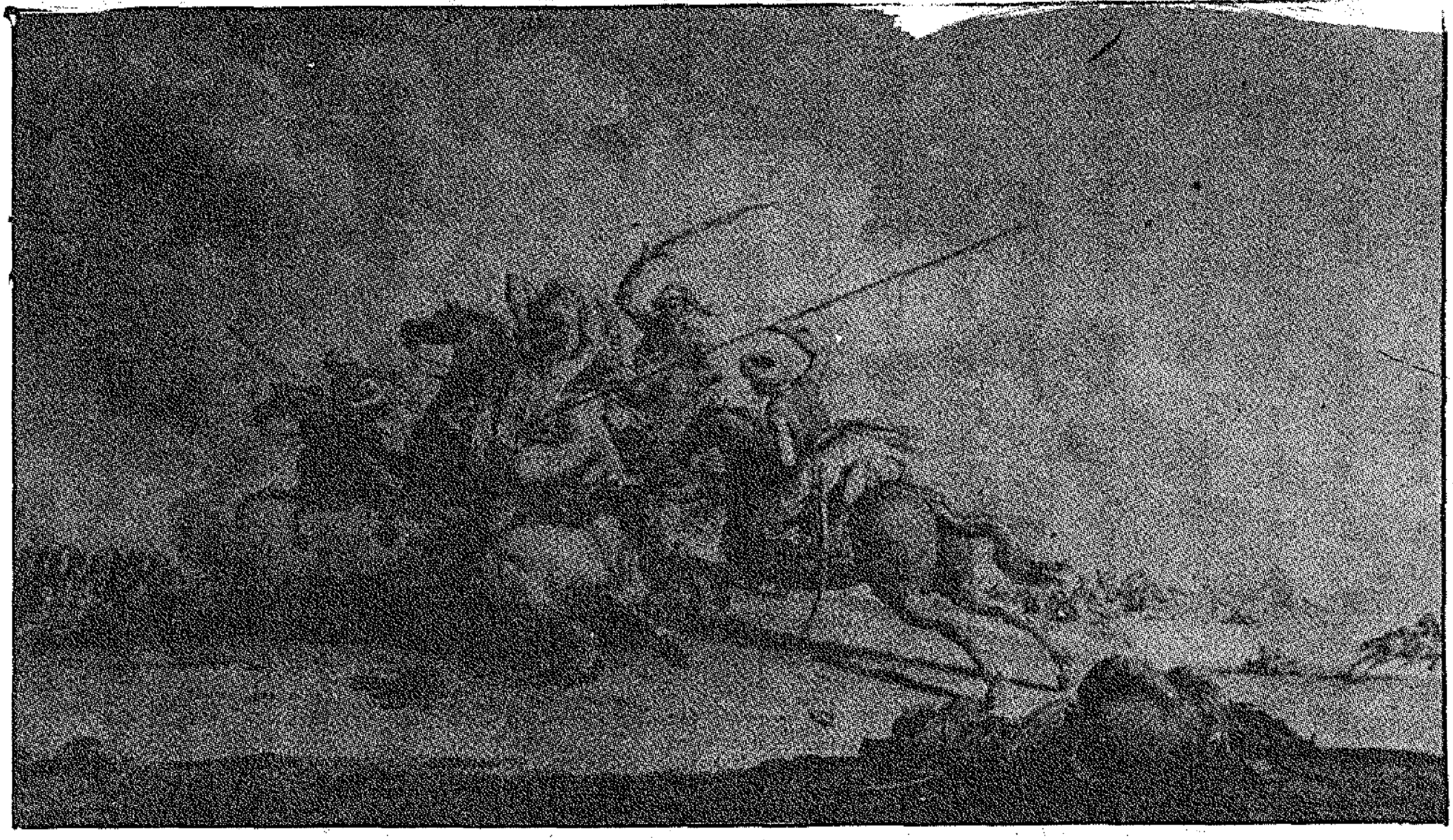

معركة بيرامبار ، وموت الجنرال دوبليسى

ويجدر بنا أن نعرف ، أول ما نعرف ، حقيقة هؤلاء الجند وضباطهم ، قبل أن تحولهم أساطير القرن التاسع عشر ، إلى أنبياء للحرية والتنوير في مصر . فلنذكر أنهم من هذا الجيل الذى عاش الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ ، هذه الثورة التى قننت « الإرهاب » وكان عصرا من عصورها ، لأول مرة فى تاريخ البشرية ، تنصب محاكم تفتيش للرأى ، ويحكم بالإعدام على من لا يوافق على الطريق الجديد الذى تسلكه الثورة ، بينما هذا الطريق يختلف من يوم إلى يوم ، فيتحول جلادو الأمس إلى ضحايا الغد حسب تقلب الأهواء السياسية التى لعبت فيها الغوغاء دورا عظيما . كما أن أكثر الضباط - ومن أهمهم كليبر ومينو اللذان حكما مصر لفترة - أكثر الضباط وأغلب الجنود اشتركوا فى الحرب الأهلية التى مزقت فرنسا ، أثناء الثورة ، عندما رفض الشمال الغربى السياسة الجديدة للجمهورية الوليدة . وقد ذهب ضحية هذه الحرب

عشرون ألفا ، ويرى بعض المؤرخين أن هذا العدد أقل بكثير من الحقيقة ، وتحول هذا الجزء من فرنسا إلى خراب بأمر الحكومة الثورية ، لتلقين المنشقين عليها درسا لا ينسى ، ولايزال المؤرخون يجادلون فيما إن كانت هذه الحرب حربا أهلية ، أم حرب إبادة ، بسبب الفظائع والمجازر التى اقترفت فيها ، فعلينا أن نتخيل كيف يتصرف مثل هؤلاء الجند مع الأجانب إن كان هذا هو تصرفهم مع بنى وطنهم .

أما بونابرت ، فلنذكر أنه ، بعد شهر واحد من عودته الى فرنسا من مصر ، استولى على الحكم فى إنقلاب عسكرى سلمه السلطة المطلقة ، وأنه كبت بعد ذلك مباشرة كل الحريات ، وأزال كل ما اكتسبه الشعب الفرنسى من مكاسب الثورة ، وألغى حتى مبدأ الانتخاب ، وأغلق الصحف ، وأصبحت حكومة فرنسا ، وقضاؤها وفكرها فى يده هو وحده ، أصبح حكمه دكتاتورية فردية مستبدة ومطلقة ، حتى توج نفسه إمبراطورا ، واستمر فى سياسته هذه الى أن أوصل فرنسا إلى الخراب فى ١٨١٥ .

هذا عن القواد ، أما عن الجند أنفسهم ، فنحن نجد فى البيانات التى كان يكتبها لهم كليبر ومينو ما يشير إلى تصرفاتهم المشينة ، مثل التبول على المساجد والمقابر ، والاستهزاء بالمشايخ وسوء معاملة النساء . فلنا أن نتخيل كيف يكون رد فعل الشعب المصرى على مثل هذا السلوك اليومى ، ناهيك عما سنقرأه عن حربهم المستمرة مع مقاومة لم تفتر يوما ، ولم ترهب أو تتضاءل .

ولكن الكاتب بلزاك ، الذى اشتهر بواقعيته ، قص علينا فى إحدى رواياته (طبيب الريف) عن جندى من جنود نابليون المسرحين ، وهو يحكى لأصدقائه كيف كانت الحملة ، نفهم منه المستوى الثقافى لهذا الفلاح المجند ، الذى يعزو الحرب فى مصر ، إلى قصة حب مثل التى نقرأ عنها فى ألف ليلة وليلة ، فالمصريون على حد قوله ، يعتقدون أن بونابرت أراد اختطاف ملكة فى غاية الجمال ، وأن بونابرت أغدق عليها كنوزاً وأحجاراً ماسية فى حجم

بيض الحمام ، ولكن زوجها السلطان رفض تسليمها لبونابرت فكانت الحرب ، وأن المصريين شعب يحكمه عمالقة من قديم الزمان، يدفنون ملوكهم فى أهرامات حتى تبقى جثثهم « طازجة » ، ثم يحكى عن الجان الذين جاءوا لمحاربة بونابرت لأنه لم يهزم بسبب بشر ، وذلك لسبب بسيط ، هو أنه تعاهد سرا مع الله منذ مولده ، ونفهم من خلال هذه الخزعبلات ، المستوى الفكرى لجندى أصله فلاح جاهل ، مثله مثل غيره من الجند ، ونتخيل كيف كانت معايشة مثل هؤلاء البلهاء سبب تنوير المصريين ، ونقلهم من عصر الظلمات إلى نور العصر الحديث .

وقد كتب كثير ممن اشترك فى الحملة مذكرات ، وخطابات ، تقول كلها نفس الكلام ، الذى يفند الأسطورة التى تتداول حتى الآن عن تأثير الجيش على الشعب المصرى . وقد اخترنا كتابين بالذات من بين مجموع ما نشر ، وأخذنا منهما بعض المقتطفات ، لنرى ما يقوله « شاهد من أهلها » ، ويكون أبلغ إجابة على افتراء الأساطير التى تحكى عن الحملة وتأثيرها الحسن .

ولكن علينا أن نشرح أولا كلمة ، كثر استعمالها ، ونجدها فى كل كتابات القرن الثامن عشر ، لأنها من نتاج فلسفة التنوير ، وهى تترجم بالعربية بكلمة « تعصب » ، ولكن الكلمة العربية ، مع الأسف تعطى كل الايحاءات السيئة عندما يكتب فرنسى من القرن الثامن عشر كلمة خلنابقىشهشع ، فهو يعنى الهوس الدينى والتطرف الدموى ، والغباء وضيق الأفق ، والخزعبلات فى العقيدة ، والروح الانتحارية ، والظلمات والجهل المطلق ، والإيمان الأعمى بالغيبيات الجاهلية .

(١) راهب يونانى (٢) يهودى من بيت القدس (٣) أسقف من الاسكندرية ، رجل ذو عقل نافذ ، كله نبل ورقة ، ولكن صفاته كانت مع الأسف بلا قيمة بسبب كبريائه الشديد (٤) يونانى آخر من رشيد

كما أن أى « رجل دين » ، أيا كان دينه ، لابد أن يكون عند إتباع فلسفة التنوير ، وهم غالبية جيل نهاية القرن الثامن عشر ، يجب أن يكون منافقًا ، محتالاً ، له نزعة قوية للسلطة من خلال المتاجرة بالخرافات ، يلعب بمهارة فائقة على سذاجة البلهاء والجهلة .

أما كلمة « حضارة » ، فقد حلت محل المسيحية ، لتبرئة الحروب الاستعمارية من تهمة الجشع . فقد استعملت المسيحية لتعطى الحق للصليبيين فى حربهم الاستعمارية ، وجاءت «الحضارة» لتحل محلها عند الأحفاد الملحدين للصليبيين القدامى .

وعلينا أن نقرأ الآن بعض ما كتب فى خطابات برنوابيه ، ومذكرات دينون ، لنرى الوجه البشع للحقيقة التى عاشها كل من هذين الرجلين .

يقدم « كريستيان تورتيل » تسعة عشر خطابا وجدها بين أوراق عائلته ، وهى خطابات كتبها « فرنسوا برنوابيه » إلى زوجته يتحدث فيها عن الأحداث السياسية التى عاشها أثناء مصاحبته لبونابرت ، بصفته « مدير مشغل ملابس جيش الشرق » ، إلى أن عاد معه فى أغسطس ١٧٩٩ . والجزء الآخر خطابات الى ابن عمه الذى يحكي له فيها عن مغامراته النسائية ، فى بلد ، لم يبحث فيه إلا عن المتعة الجنسية ، عندما كان ينتهى من عمله الرسمى .

وإليكم بعض مقتطفات منها :

Avec Bonaparte en Egypte et en Lyrie,1798-1800.19 lettres inédiks de Francois Bernoyer, chef de l,Areliér d,halallement de l,Armeé d,Orient, retrouveés et présenreés par Christian Torel Collection le temps traversé, edir, Lurandara.

(فى ميناء طولون ، بجنوب فرنسا ، قبل الإبحار واستعدادا للرحيل) .

« وجدت بسهولة ما أحتاجه من رجال ، ولكن بعضهم أرهقنى ، لأنهم كانوا يريدون التأكد من الوعود الجذابة التى أجبرت على التعهد بها ليسافروا معنا . وعندما أخبرتهم أن بونابرت يقود الرحلة ، سقطت كل الموانع ، لأنهم كانوا شديدى الرغبة فى مصاحبة مثل هذا الرجل الذى أدهش أوربا بانجازاته » (ص ١٣) .

(وهذا الكلام يدل أولا على شعبية الجنرال الشاب ، نابليون بونابرت ، الذى عرف عنه ، أثناء حملته على إيطاليا ، أنه أغدق العطاء لرجاله ، على عكس ما كان يحدث فى الجيوش الفرنسية الأخرى ، ولو أن جهة الحملة كانت مجهولة ، إلا أن المسئولين وعدوا كل جندى أو رجل اشترك فيها ، بهبة مقدارها ستة (أربنت) من الأرض - وقد تساوى قيراطا - مما أثار سخرية الجند فيما بعد . عندما قطعوا المسافات الشاسعة فى رمال صحراء مصر) .

(يقوم برنوابيه بزيارة سفينة « لوريان » ، التى كان يسافر عليها الجنرال بونابرت ، القائد العام للحملة ، ويدخل القمريات المخصصة له) .

« لم أر فى حياتى ما فاجأنى وأعجبنى مثل قاعة الاستقبال : كانت مصممة لملك ولد فى الرخاوة والجهل ، أكثر منها ملاءمة لجنرال جمهورى ، ولد من أجل مجد وطنه (...) وقيل لى أن أصول المراسم مراعاة بدقة فى هذا المكان : إنهم يحاولون نسخ العادات القديمة للبلاط الملكى ، وبدا لنا هذا أمراً مضحكاً للغاية ، وكأننا نشاهد نبيلاً كبيراً مرفهاً وسط معسكر من الاسبرطيين » (ص ٢٠) .

(تدل هذه السطور أولا على طبع فرانسوا برنوابيه نفسه ، فهو يتكلم بأسلوب الثوار المتقشفين الذين أرادوا فعلا التخلص من

كل ما ينتمى الى عهد النبلاء السابقين المترفين . وفى نفس الوقت، تشير هذه السطور الى نمط الحياة التى سيحياها بونابرت فى مصر بعد ذلك ، ناهيك عن تتويجه يوما إمبراطوارًا على فرنسا ، وهو الذى كان فى شبابه يحارب باسم مبادىء الثورة المثالية المتقشفة من مساواة وأخوة : إنه كان يعيش ، حتى فى هذا الزمن ، كنبيل مرفّه أكثر منه ثائرًا على تقاليد الماضى) .

(تقابل القافلة فى طريقها الى الاسكندرية ، سفينة حربية عثمانية) .

« أبلغ بونابرت قبطان هذه السفينة الحربية بنية الفرنسيين الدخول فى أراضى سيده ، بصفتهم أصدقاء ، ما جاءوا إلا لمعاقبة بكوات المماليك بسبب الإهانات التى يوجهونها يوميا الى المسيحيين . ولذا ، فهو ينصحه أن يستقبلنا كأصدقاء ، وإلا أغضب السلطان » (ص ٣٩) .

(يلاحظ أن هذه هى المرة الوحيدة التى ينسى فيها بونابرت أن الهدف المعلن عن حملته هو « تحرير المصريين من سطوة المماليك » ، ويتكلم هنا بوذ عن المسيحية التى سيتبرأ منها فيما بعد ، عند توجيه حديثه الى المصريين . وسنرى أيضا فيما بعد أن كل ضباط الحملة ، كانوا يعتقدون فعلا أن فرنسا لم تذهب الى مصر إلا بموافقة السلطان العثمانى) .

« عندمـا رأى حـاكم الاسكندرية أننا نسـتـعـد للنزول على الشـاطىء ، أخذ يصلح بسرعـة فائقـة تحصـيناته السيئـة ، وأثار الغوغاء ضدنا » .

(سنلاحظ أن كل من قـاوم الغـزو الفـرنسي ينعت دائماً بكلمات بذيئة ، ولا يطلق عليه أبداً ما يصفه فعلا ، وهو أنه من قوم يحاربون من أجل استقلالهم) .

(عند نزول الجيش على شاطىء الاسكندرية) .

« كان المنظر مهيبا ، وكنا نعجب له ، وكان لابد أن يستغرب له المصريون ، لأن مما لا شك فيه ، أنهم لم يروا مثل هذا المنظر من قبل . ولكنى عجبت جداً أنا نفسى لعدم المبالاة التى قوبلت بها كل تحـركـاتنا (من طرف الأهالى) . ومن المؤكـد أنهم كـانوا يحتقرون المنظر أكثر مما يعجبون به . ومن يراهم يظن أنهم هم الذين انتصروا علينا . (...) وعلى الرغم من تحركات أكثر من ألف رجل ومعداتهم ، رأيت أهل البلد يتوجهون الى شاطىء البحر ، ويغسلون وجههم وجسدهم ، ثم يفترشون جلبابهم الكبير على الرمال ، وينظـرون نحـو الشرق ، ويقـومون بالصلاة فى منتهى الهدوء ، ثم ينسحبون دون أن يلتفتوا الى ما يحدث حولهم ، ما أعجب هذا البلد ! » (ص ٤٣) .

(بل ما أعجب رؤية الفرنسيين الى أهل البلد . وهم مقتنعون أن المصريين نوع من الهنود الحمر ، سيفزعون عند رؤية جنس أبيض جديد عليهم ، فينظرون اليهم وكأنهم آلهة هبطت من السماء أو مما وراء البحار !) .

(وتبدأ الحياة فى الاسكندرية ويبدأ استياء كل أفراد الجيش ، كما سنرى أيضا فيما بعد ، وكان هذا الاستياء والتذمر المستمر من أهم أسباب فشل الحملة ، للرغبة الملحة للجيش الى العودة الى الوطن ، بعيدا عن هذا البلد العدوانى الذى لم يرحب بهم . ونذكر أن برنوابيه بالذات بدأ متحمسا جدا لهذه الحملة) .

« أيا كان ، فأنا ألعن مائة مرة من كان سببا فى حضورنا الى هنا ، فى مثل هذا البلد (...) كلما فكرت فى حالنا ، وجدته تعسا ، فإذا ما صادفنا فى الشوارع نساء أو أطفالا ، رأيناهم يهربون أمامنا ، وكأننا حيوانات كاسرة . حتى الحيوانات التى تجدها أكثر ألفة من حيوانات أى بلد آخر ، مرعوبة منا ، أما الكلاب فتتبعنا بعناد شديد لدرجة أننا لا نستطيع التخلص منها إلا بالسلاح » (ص ٤٥) .

(قصة الحملة مع الكلاب طريفة ، وقد أمر بونابرت فى القاهرة بإعدامها لإزعاجها له أثناء الليل . ويقول الجبرتى فى

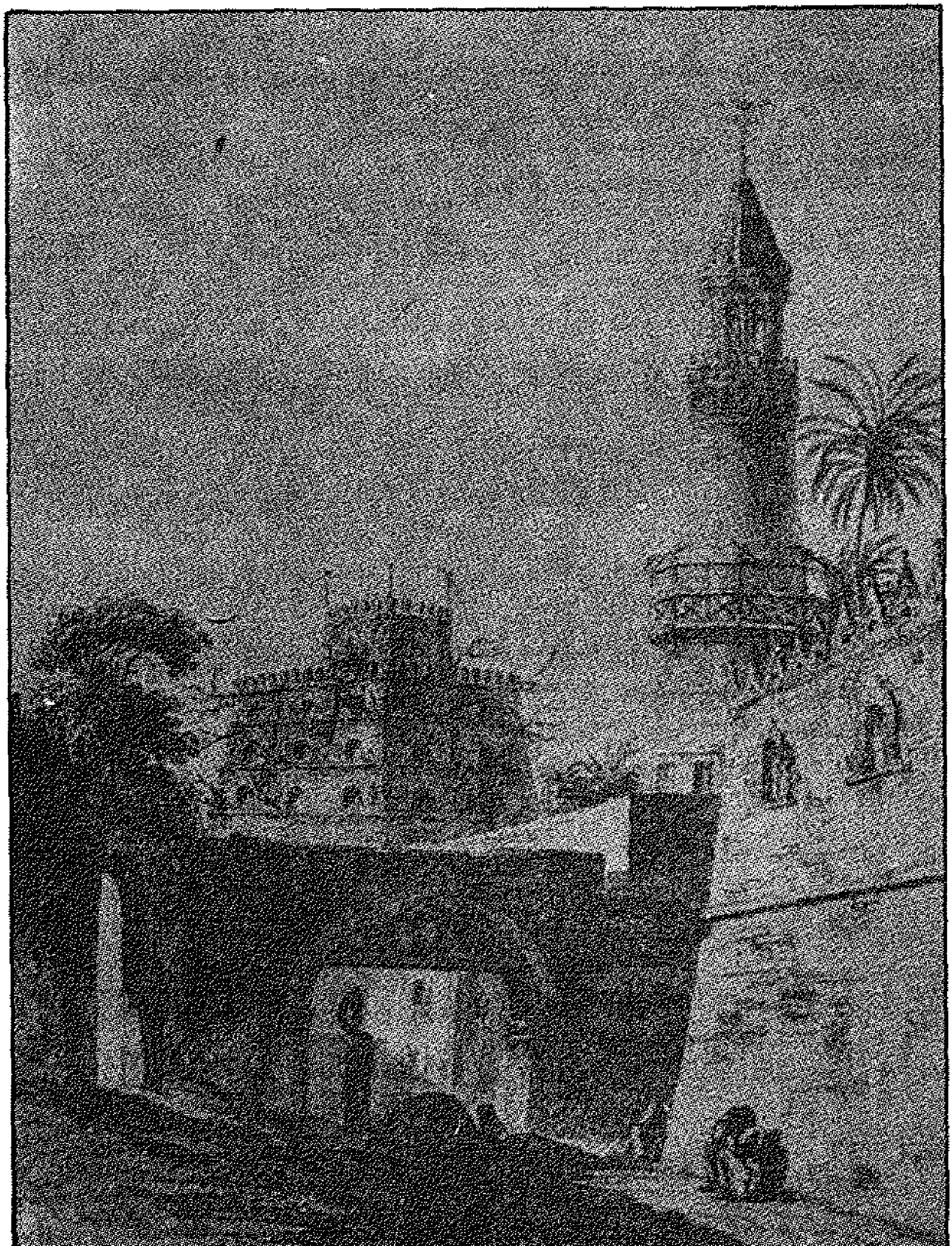

شارع من شوارع جرجا ، على اليمين ، منزل لكبير من أهل البلد ، الحائط المحيط به ، يجعله مثل حى مغلق على نفسه ، فى حالة نشوب أى اضطراب سياسى أو حرب معلنة ، ويبقى الباب مفتوحا فى أى حالة أخرى ، كانت القاهرة كلها أبواب من هذا النوع ، وكانت أول عملية قامت بها الحكومة الفرنسية عند دخولها مصر ، هى إزالة كل هذه الحواجز الداخلية .

هذا ، إن الكلاب كانت تنبح وراء الفرنسيين لأن لبسهم كان غاية فى الغرابة ، وهو يسخر طبعًا كعادته) .

(خرج الجيش من الاسكندرية ، فى طريقه الى القاهرة عبر الصحراء . وكانت مأساة . ولا ننسى أن هذه الرحلة تمت فى شهر يوليو) .

« إننى أرى ، ولكن بعد فوات الأوان ، أننا ضحية ، وظيفتها تحقيق مشاريع نبتت فى الخيال الهائج المجنون لبعض الرجال ، لتحقيق طموحاتهم المفرطة ، وهم لا يبالون بضحاياهم . وأكثر ما أدهشنى أن الجنرال بونابرت لم يفكر فى توفير مياه الشرب لجيشه » (ص ٥٠) .

(عن تأثير منظر السراب على الجيش) .

« اجتاح اليأس كل النفوس ، وكانت النتيجة أن السير أصبح أكثر بطأ (...) كثيرًا ما كنت أصم أذنى وأنا أسمع الآهات وصراخ زملائى فى البؤس ، وهم يتوسلون لنساعدهم فى لحظة الموت . كنت أراهم يسقطون عند قدمىّ ، دون أن يتحرك لى ساكن ، لأن العذاب الشخصى يغلق القلب لأى شعور . كان كل منا يتبع طريقه فى صمت كئيب . ولم نكن نلقى إلا نظرة إشفاق عابرة على الجثث المشوهة التى كنا نجدها بكثرة على طريقنا » (ص ٥١)

(ويصل الجيش الى مدينة دمنهور) .

« عندما اقتربنا ، هرب الفلاحون ، ومعهم كل حيواناتهم وكل مؤنهم : لقد خلعوا حتى أبواب منازلهم ، ولا بأس ، فقد تركوا المياه ، وكانت كل ما نبتغيه من متعة في هذه اللحظة » (ص ٥٢) .

(يتكرر وصفه للهجوم المستمر للبدو عليهم ، وكيف كانوا لا يتركون للجيش لحظة أمان واحدة ، الى أن يصل الجند الى الرحمانية) .

« عندما رآنا أهل هذا الكفر من بعيد ، لانوا بالفرار ، كانت النساء يطلقن العويل (...) وعلى الرغم من جمال هذا المكان ، إلا أن الحزن قد خيم عليه ، لهروب أهله منه . وعندما شاهد الجيش هذه الحالة ولم يجد أمامه أى مورد ، رأى أن الانتقام من الصواب ، فأحرق الجيش كل شيء ، ياله من منظر بشع ، وقد قضى الحريق على نصف البلدة » (ص ٥٣) .

(لماذا وجد الجند أن « الانتقام من الصواب » ، والفلاحون لم يقوموا بأى عمل عدوانى ضدهم ؟) .

« يركبون مراكب بعد ذلك ، وإذ بفرقة من المماليك تظهر على الشاطىء أمامهم) .

« نظر اليهم الجنرال ياوومسكى باستخفاف . ولم يشعر بأى خوف، وكان يعتقد أن المصريين لا يعرفون المدفعية . كان

يقول : « أريدهم أن يقتربوا لأرى المفاجأة عندما يسمعون مثل هذا الدوى ، وجاءت المفاجأة بالفعل ولكن على غير ما كنا نتوقع ! لأننا اكتشفنا فجأة ثلاثة مدافع مختبئة على شاطيء النيل ، كنا بجانبها ولا يمكن أن نختبيء من طلقاتها » (ص ٥٥) .

(نظرة الفرنسيين الى المصريين لاتزال متأثرة بمعلوماتهم عن الهنود الحمر ، الذين لم يروا مدافع قبل هجوم الأسبان عليهم ! وتدور المعركة ، وتكاد المراكب الفرنسية أن تهلك كلها بمن عليها ، لولا ظهور باقى الجيش الفرنسى) .

« وبدل أن يهرب المماليك أمام هذا الجيش المرعب رأيناهم يتراجعون ليعودوا بأقصى سرعة بخيلهم ، والسيوف فى أيديهم (...) كانت المعركة غير متكافئة ، فالعدو لم يكن لديه إلا ألف أو ألف ومائتا رجل ليصد هجومنا ! » (ص ٥٦) .

(وتنتهى المعركة لصالح الفرنسيين كالعادة ، لنفس السبب الذى سنراه يتكرر مرارًا ، وهو كثرة عدد الفرنسيين وقلة عدد المصريين بالنسبة لهم . ثم يجيء مشهد يدل على أن الجند الفرنسيين كانوا أقرب الى المرتزقة منهم الى محاربين من أجل مبدأ ، فلا نراهم - ولن نراهم - يهتمون إلا بالغنائم) .

« على شـاطئ النيل ، وجدت بعض الجنود يتـعـاركون من أجل بقـايا مـلابس أحد فـرسـاننا الموتى ، فـاشتـريت منـهم الحذاء والقبعة والقميص » (ص ٥٧) .

(يحرق البدو فى قرية ، موظفًا فرنسيًا) .

« عندمـا رأى بونابرت هــذه الوحـشـيـة ، اسـتـولى عليـه السـخط ، فـأمر بإحـراق القـرية وذبح كل سكانهـا ، أو إطلاق النار عليـهم . وهذا الدرس القـاسى لم يمنعنا من مـقـابلة جثث كثـيرة على طريقنا ، وقد شوهـها هذا الشعب المفترس » (ص ٥٨) .

(وسنلاحظ باسـتـمـرار هذا التـصـعـيد فى العنف ، فكلمـا حـاول الفرنسيون قـمع المقـاومـة ، وكلمـا كـان العقـاب قـاسيًا ، زاد عنف الثورة واتسعت دائرة المقاومة) .

« وفى اليـوم ١٩ ، لم يعـد اثنـان من الجند يتـحـمـلان هذا الطريق الشاق ، فألقيا بنفسيهما فى النيل أمام زملائهما . وآخرون كـثـيرون فضلوا أن ينهوا حـيـاتهم بالرصـاص ، ليـهربوا من هذا العذاب الأليم » (ص ٥٨) .

(عن معركة امبابة) .

« لم تكن مـعـركـة ، ولكنهـا كـانت مذبحـة (...) حـاول بعض المماليك استجداء الفرنسيين قبل سقوطهم فى النهر ، ولكن جندنا

لم يستجيبوا ، وأصموا آذانهم لأى شعور بالرأفة : لم يعد يهم إلا المجزرة ... » (ص ٦٠) .

(أكدت آخر دراسات فى هذا الموضوع ، هذه الحقيقة ، حتى إن كثيراً من المؤرخين المحدثين يقولون عنها إنها لم تكن أكثر من « مناوشة لم تذكر فى التاريخ إلا لأنها فتحت أبواب القاهرة أمام بونابرت . وقد حولها المؤرخون السابقون ، والشعراء ، الى كمعركة أسطورية كجزء من أسطورة بونابرت نفسه . وقد أسماها بونابرت « معركة الأهرام » ، مع أن الأهرام بعيدة جداً عن امبابة ، ولكن بونابرت وجد أن اسم « الأهرام » أعظم جاذبية وسحراً من اسم امبابة .

وقد بالغ معاصرو بونابرت فى عدد المحاربين المماليك وفى عدد ضحاياهم ، حتى تلائم أسطورة الجنرال الذى لا يهزم . ولذا ، فشهادة برنوابيه مهمة جداً مع أنه ليس من العسكريين ، لأن كلامه موجه الى زوجته ولا علاقة له بأى نية دعائية أو حتى تسجيلية ، إنه شاهد عيان ولا ينتمي ، مثل غيره الى الجوقة التى كانت تنشد المواويل كلما فعل بونابرت شيئًا) .

(ثم يحاول برنوابيه تحليل طباع المصريين كما يراهم فى القاهرة ، وهو يقول أنهم خانعون لأى سلطة طاغية تستعبدهم ، ومع ذلك ، لم يفكر أى لحظة أنه منذ نزول الجيش الفرنسى على

ديوان حربى : كانت الحالات التى تهم الفرنسيين لا تعرض على المحاكم العادية ، ولكنها كانت تعرض على محكمة قائد المنطقة ، وكثيرا ما كان السكان يطلبون أن تعرض حالاتهم الخاصة عليه ، هذه اللوحة تصور نوعا من هذه المحاكم . الجنرال ، وبجواره أعلام الجمهورية ، يجلس وخلفه إثنان من التراجمة ، وهم أفاقون يأخذون عادة رشاوى من الطرفين

شاطيء الاسكندرية ، لم يقبله أحد . بل حاول المصريون جاهدين التخلص منهم ، وقصصه العديدة عن مقاومة القرى على الرغم من العقوبات الشديدة من الحرق والسلب والنهب ، أحسن دليل على أنهم ليسوا ، كما يدعى ، « شعب عبيد مستعبدين » . وعلى الرغم من ذلك ، فلا مناص من ترديد الأفكار المسبقة ، وهو يقول مثلاً) :

« لقد سخر المصريون لدرجة أنك تجد الخدم كثيرين وبأسعار رمزية ، إنهم يفعلون كل شيء نطلبه ، وهم عادة ماهرون جداً في عملهم ، وفي منتهى الأمانة » (ص ٧٧) .

(ومن يقرأ هذا الكلام ، يظن أن مصر شعب خدم ، وأنه لا يوجد خدم في فرنسا ، والقارىء لأي قصة أو مسرحية من الأدب الفرنسي ، يجدها تزخر بهم ، وأشهر شخصية لمسرحيات بومارشيه مثلاً ، المعاصر لبرنوابيه ، هو الخادم فيجارو !) .

(بعد ثورة القاهرة الأولى) .

« من غير المعقول أن نظن أن المصريين المدعوين إلى أعياد الجمهورية (الفرنسية) ، كانوا يشاركوننا فرحتنا الغامرة . وعلى الرغم من مجهوداتهم لإخفاء حالتهم النفسية ، كنا نلاحظ بسهولة الآثار المؤلمة للعقاب البشع ، الذى أنزله بونابرت بهم بعد ثورتهم . وقد حاولوا مع ذلك ، أن يكون تصرفهم طبيعيا ، وكانوا في منتهى الشجاعة حتى يبدوا مبتسمين وسعداء » (ص ٨٠) .

(... وقد رأى مؤرخون كثيرون أن الشعب المصرى احتفل مع المدعوين والجيش الفرنسى بفرحة صادقة فى أعياد الجمهورية الفرنسية !) .

« حكم بونابرت على السكان ، بعد ثورة القاهرة ، بدفع غرامة قدرها ثلاثة ملايين (...) ومن لا يستطيع الدفع فى الحال ، فى إمكانه كتابة كمبيالات تدفع فى حينها » (ص ٨٣) .

(كان الاحتياج المستمر الى المال أيضا من أهم أسباب فشل الحملة ، وكان الحكام يتحايلون للحصول على أكبر قسط منه ، وكانت هذه الوسائل تسمى « بسياسة الليمونة المعصورة » ، حتى لا يتبقى للشعب إلا الجلد الفارغ الجاف) .

(ونجد بعد ذلك أحسن مثل لما يمكن أن يسمى بالأسطورة والحقيقة ، فبرنوابيه يحلم بالأسطورة ويقص على زوجته الحقيقة التى عاشها هو نفسه . الحقيقة التى أخفاها كل من تحدث بعد ذلك عن أسطورة الحملة وما جلبته من خير وتنوير وحرية للشعب المصرى . الأسطورة كما كانوا يتخيلون أنها وقعت حقيقة ، ولم تكن فى الواقع أكثر من وهم شارك فى وضعه بعض السذج مثل برنوابيه) .

« فى اليوم ٩ من أكتوبر ، مثلا ، وصلنا فى الصباح الباكر الى كفر يبدو بائساً : فأغلب المنازل كانت من الطين ، وكان منظر

الأطفال العرايا يثير الشفقة . ومع ذلك ، كان لابد من أخذ مال هؤلاء التعساء ، الذين رعبوا لمجرد اقترابنا منهم ، وبينما كنا ننصب الخيام ، رأينا بعضهم يهرب ، وأولادهم على ظهورهم ، يجرون وراءهم كل ما يملكون . كان أول هم لنا استدعاء كبير هذا الكفر ، وإبلاغه أننا حضرنا لنأخذ الضرائب . جاء الشيخ وهو يبكي ، ليقول إن البدو مروا عليهم من أسبوع وأخذوا كل شيء . ولكن المحصل دوفال ، مع أنه رجل طيب القلب ، لم يكتف بهذا الشرح - سواء كان الشرح صادقا أو كاذبا - قال إنه لابد وأن يحصل المبلغ وإلا نفذ الأوامر ، وضربهم بالعصي عند أي رفض . عندئذ ، أخبر الشيخ أهل الكفر بالتوجه الى معسكرنا لدفع المال .

« كانت الساعة الثانية بعد الظهر ، ولم يظهر أحد . فأراد قائد فرقتنا أن يستعمل أعنف الوسائل ليحصل الضرائب ، فذهب الى الكفر ومعه مائة رجل (...) أما المحصل دوفال ، فقد بقي معي في المعسكر حتى لا نرى هذه المشاهد المزعجة. كنا نقول إنه من القسوة على الجمهوريين أن ينفذوا مثل هذه الأوامر ، لأن مثلهم الأعلى هو أن يجعلوا الشعوب سعيدة ، وأن يعاملوها كإخوة ، وبهذه الطريقة ، كانوا مجبرين على تقليد أكثر الطغاة قسوة لابتزاز هذا الشعب ، والعصي في أيديهم . لمنا بونابرت الذي كان يستطيع أن يحسن من حال هؤلاء البؤساء ، بأن يفرض عليهم قوانين أكثر

انسانية . وبهذه الطريقة ، كانوا سينعمون بحكم يدعي أنه كريم وعادل ومستقل . ولكن ، ومع الأسف ، فالحقائق تثبت أنهم لايزالون يقاسون من استعباد مخجل وظالم إلى أقسى درجة ، وبشع الى أقصى درجة ..

« كان المماليك يحكمون بسيطرة كاملة على الأقاليم : كانوا يجبون الضرائب ويختلقون أنواع الأهانات ضد الفلاحين (...) وما كان يحزننا ، هو أن بونابرت يستعمل نفس وسائل المماليك مع الأسف الشديد .

« وفى تمام الساعة السادسة مساء ، عادت فرقتنا الى المعسكر ومعها عشرة فلاحين ، مغللين وكأنهم ممن حكم عليهم بالأشغال الشاقة ، لأنهم لم يدفعوا الضريبة . وقد أحضرت الفرقة معها أيضا شيخ الكفر . وشرح له دوڤال أنه لابد أن يجبر هؤلاء الفلاحين على دفع الضريبة فى ظرف ساعة ، لأنه هو وحده المسئول ، علاوة على ما سيصيبه من ضرب بالعصى ، الى أن يدفع المبلغ (المهم ... دفع المبلغ) وهكذا انتهى اليوم البغيض المضنى .

« قد تظنين يا زوجتى الحبيبة ، بعد هذه الصورة التى وصفتها لك ، أن مصير وبؤس هؤلاء المساكين ، يجب أن يجعلنا ننظر اليهم على أنهم أكثر الناس بؤساً على الأرض !... من المؤكد

أن شعبًا مثقفًا ومستنيرًا ما كان ليتحمل مثل هذا الطغيان ، بل كان سيثور ضد مضطهديه ولا يتحمل بطشهم !... ولكن هذا الشعب الجاهل لا يشعر بذلك ويتحمل كل شيء بصبر واستسلام و دون أن يكون أكثر تعاسة . أنا أوافق چان - چاك روسو الذى يثبت بكفاءة أن العلوم والفنون مضرة لسعادة البشر ، لأنهم لا يعرفون السعادة إلا فى حالهم الطبيعى ، وهو حال المتوحش » (ص ص ٨٤ - ٨٦) .

لا شك أن هذا إعتراف صريح ببطش الفرنسيين ، وإذن واضح بالثورة لو أن الشعب المصرى « مثقف ومستنير » ، وكأن برنواييه نسى كل المقاومة التى رآها فى طريقه الى القاهرة . وتثور القاهرة بالفعل بعد هذا الخطاب ، والمفروض أن تكون المفاجأة ، إذ أثبت له الشعب المصرى أنه ليس شعبًا جاهلاً ومتوحشًا . ولكن ما هو رد فعل برنواييه على هذا الدليل القاطع على أن المصريين ليسوا كما ظن فى أول الأمر ، « شعب عبيد مستعبدين » ؟ وبم سيصف الثوار الذين رفضوا البطش الفرنسى ؟

« ... الحشد الهائج المتعصب تعصبًا دينيًا أعمى (...) وفى هذا الوقت ، وفى الجوامع ، كان كهنة الدين يخطبون فى الناس ضدنا بمواعظ خبيثة ومتمردة ، حيث كانوا يدخلون سلطة الله ونبيه ليزيدوا من ثورة هذا الحشد من المتطرفين : إنه أحسن

وسيلة يلجأ اليها دائماً القساوسة ليؤثروا ويهيجوا المؤمنين كما يريدون » (ص ٨٨) .

نرى المفارقة العجيبة ، ونذكر ما يحمله هذا الجيل من الفرنسيين الملحدين من بغض لكل ما هو ديني ، سواء كان فكراً أو رجلاً . وتتحول ثورة القاهرة من أجل الحرية الى تطرف وتعصب أعمى . ولا يحاول برنوابيه أن يربط بين الأحداث وما كتبه في خطابه السابق ، عن جهل الشعب الذى يقبل البطش الفرنسى دون أن يثور !

« أما بالنسبة للنساء يا ابن عمى العزيز ، فإليك قصة طريفة . عندما حضر جنرالاتنا الى القاهرة ، استولوا بالقوة على النساء اللاتى تركهن المماليك في قصورهم . ظنوا أنها غنيمة طيبة بسبب ثراء لبسهن وجمال زينتهن ، وهجموا عليهن دون تمييز فريسة من الأخرى . ولكن عندما هدأت رغبتهم ، بدأوا يتعرفون على فرائس شهوتهم . كانت خيبة الأمل كبيرة ، عندما اكتشفوا أنهم لم يرثوا إلا بقايا مهملة ! ولذا حاولوا التخلص منهن . ومنذ هذه اللحظة مر وهؤلاء النسوة على كل الأيدى ، حتى أصبحن ملكاً للجنود » (ص ٩٤) .

لقد كتب أحد « المفكرين » المصريين الموصوفين بأنهم « كبار » زاعماً أن تحرر المرأة المصرية بدأ منذ نزلت الحملة

الفرنسية بمصر ، وأن هذه الحملة كانت تعامل النساء أحسن معاملة . ولا تعليق طبعًا على ما تفضحه قصة نساء المماليك هذه من حقيقة هذه المعاملة ، كما يحكيها ببساطة شديدة شاهد عيان .

أخذ برنوابيه يحكى لابن عمه عن مغامراته ، ونفهم أن همه الوحيد فى القاهرة ، عندما كان ينتهى من تلبية أوامر بونابرت فى رسم ملابس جديدة للجيش وتنفيذها ، هو البحث عن فتيات يشبعن رغبته الجنسية . وقد اشترى ، بمعنى الكلمة ، فتيات مسلمات ومسيحيات ، وصفهن بالتفصيل الفاضح ، وما شعر به من لذة معهن ، وقد زوج إحداهن لخادم لديه ، ثم حل محل العريس فى ليلة الدخلة ، والعريس مسجون فى غرفة أخرى ، لأنها كانت الوسيلة الوحيدة للحصول على هذه الفتاة العفيفة . ثم ذهب يوما مع صديق له الى سوق الجوارى ، وعندما طلبا رؤية أجملهن وأغلاهن ، كان رد التاجر عليهما :

« مع الأسف ، أنا لا أستطيع هذا ، لأن الجنرال بونابرت حرّم علىّ بيع أى واحدة منهن قبل مجيئه .. إنه يريد أن يكون الأول فى الاختيار » (ص ٩٨) .

ويذكرنا هذا بما كان بونابرت يقوله فى بيانه الأول للمصريين عند نزوله على شاطىء الاسكندرية ، ليثير غضبهم :

« إن كانت هناك أرض جميلة ، فهى للمماليك . إن كانت هناك جارية جميلة ، أو جواد جميل أو بيت جميل ، فهو للمماليك ... » .

ومن البديهى أنه يحل الآن محلهم فى كل شىء ، حتى فى اختيار أجمل الجوارى !

« أما نحن الفرنسيين ، فواجبنا يحتم علينا تخفيف آلام هذا الشعب البائس ، بأن ندخل عليه تقاليدنا وقيمنا . لقد بدأنا فى كسر سياستهم الطاغية وسلطتهم المطلقة ، ولكنى لا أعرف إن كنا سنستطيع إلغاء الفقر » (ص ١٢٥) .

النفاق واضح فى هذه السطور ، خاصة أن برنوابيه بنفسه هو الذى قص علينا كيف كان يعامل الفرنسيون فقراء الفلاحين . والمفارقة صارخة عندما يؤكد أنهم كسروا السياسة الطاغية ، ولم نعرف كيف حدث هذا ، ولا يمكن أن نستشفه من خلال قصصه الجنسية طبعًا . أما التقاليد ، فلم نر منها إلا اللعب بالنساء ، فكيف يمكن له أن يحلم بأن يقضى على الفقر وكأنه قضى على باقى المشاكل ؟ ولكن ، هذه هى بالفعل حقيقة الأسطورة التى بقيت على مر الأيام ، بعد أن تجاهل المؤرخون الواقع الفعلى للأحداث .

« يريد الانجليز طردنا من مصر : ومن أجل هذا الهدف ، دبروا لثانى مرة خطة لا مثيل لها فى حينها . استعملوا السلطان

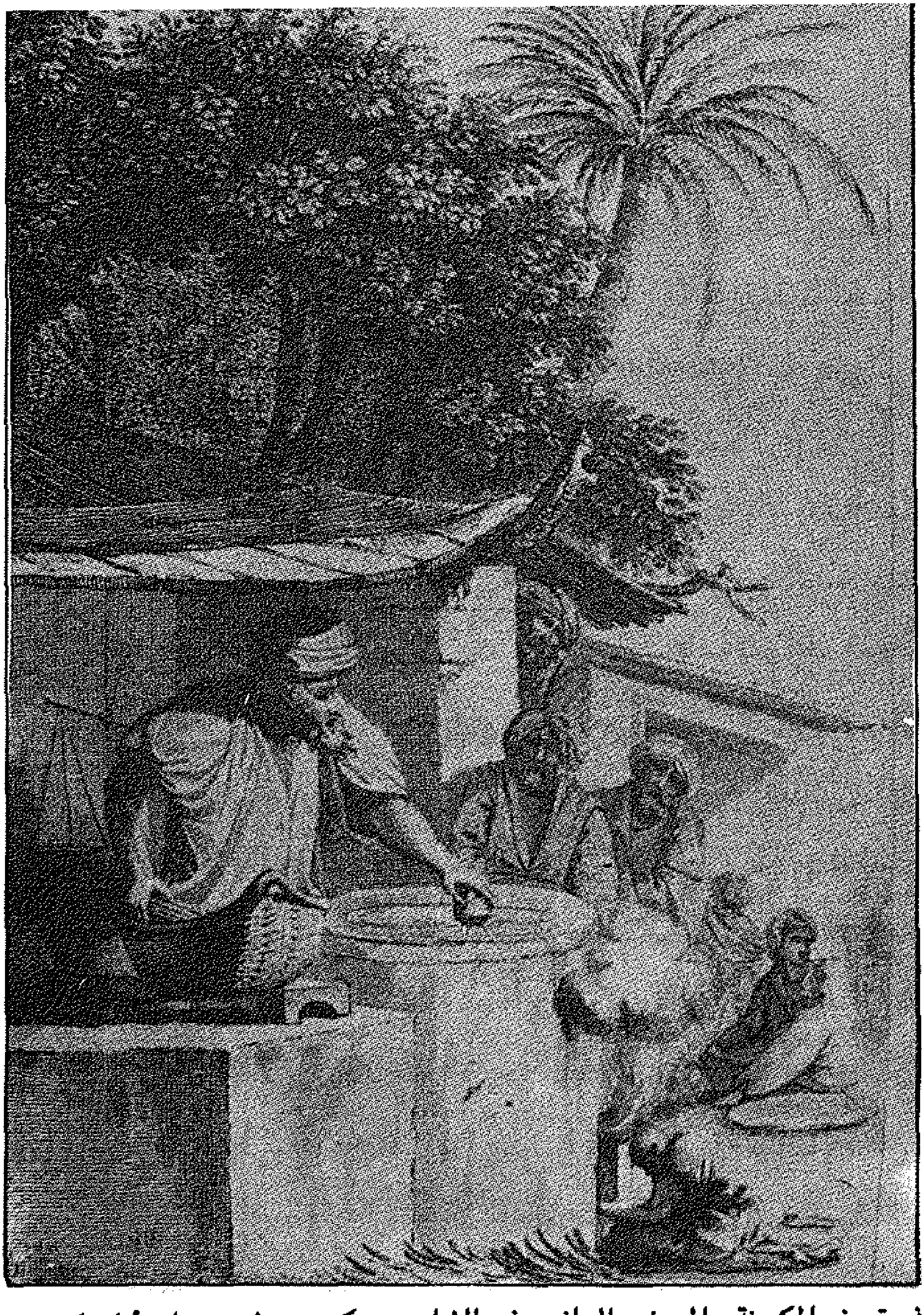

كيف تصنع المكرونة : المصنع والحانوت فى الشارع ، مكون من فرن ، عليه أوان كبيرة من النحاس فوق النار ، البائع يسكب عليه عجينة خفيفة وسائلة ، وهى تمر من خروم كوز يمر به البائع على الأوانى ، بعد بضع دقائق ، يجمد العجين وينشف وينضج بفعل الحرارة المستمرة، التى تغذيها عيدان النخيل التى توضع باستمرار فى الفرن وتباع أولا بأول .

لإثارة سكان الأقاليم ضدنا . والبلاط العثماني يعرف جيداً التعصب الديني الأعمى للمصريين ، وهو أعنف تطرف في الشرق كله . فاستغلوا سذاجة المؤمنين الغبية ، لخدمة الهدف الانجليزي : كل الوسائل كانت متاحة ، حتى أكثرها بغضاً .

« إن البلاط العثماني لا يخجل من سحق أي إحساس بالعدالة أو بالانسانية ، من أجل تحقيق طموحاته الآثمة وجشعه النهم ، فألقى بملايين الأفراد في هوة من البؤس والعذاب وخطة هجومه دليل كاف على نفاقه » (ص ١٢٨) .

لا يدرك برنواييه ، بسذاجته الواضحة ، أن كلامه ينطبق أول ما ينطبق ، على الفرنسيين أنفسهم وسياستهم الجشعة ، أكثر مما ينطبق على العثمانيين . ونرى كيف أنه في نفاقه يتجاهل تماماً رفض المصريين للاستعمار الفرنسي ، لأنه لا يستطيع أن يغير من فكرته المسبقة عن المصريين ، أنهم متطرفون وليسوا شعباً يبحث عن حريته ، مثله في ذلك مثل الشعب الفرنسي .

ويتأكد هذا عندما يتحدث عن الثورة التي قامت في مصر السفلى تحت قيادة المهدي ، وقد تناسى برنواييه كل ما قاله عن خنوع المصريين الذين يقبلون البطش الفرنسي دون أن يثوروا .

« من يستطيع أن يتنبأ بالأفعال الضارية لفرقة من المتشردين أعماهم تعصبهم الديني الأعمى ، وخاصة إذا ما أثارهم

مندوب من السماء يمنيهم بالانتصار الأكيد ؟ » (ص ١٢٩) .

(ويقتل المهدى) « عرض الجنرال لانوسى ، على النظرات الملتهفة للشعب ، جسد المهدى ، هذا النصاب ، على أمل أن موت هذا المنافق سيمحى كل أوهام هؤلاء المتعصبين العمى ، ومع الأسف ، لم يحدث شيء من هذا ... (واستمرت الثورة طبعًا !) (ص ١٣٠) .

وتحرك جزء من الجيش تحت قيادة بونابرت الى فلسطين « وأخذ بونابرت معه عشرة من أغنى وأشهر سكان مصر كرهينة ، حتى يأمن سلامة المدينة الكبيرة أثناء غيابه » (ص ١٣٥) .

مما يؤكد الخوف المستمر الذى كان يعيش فيه الفرنسيون من ثورة المصريين .

وهم فى طريقهم الى عكا « كنا ننوى التوقف فى قرية (ما) وعندما اقتربنا منها ، رأينا نارًا عالية ، وظننا فى أول الأمر أن السكان أوقدوا هذه النار ليعبروا عن فرحتهم بمرور بونابرت عليهم . ولكن ، عندما اقتربنا ، فهمنا أنه حريق هائل قضى على كل القرية ، وعندما وصلنا ، إنتابنا الفزع أمام هذا المنظر البشع الذى يصعب وصفه ، فلم نجد إلا رماداً وفيه جثث اخترقتها الطعنات ، من كل جنس ومن كل سن : كانوا يرقدون فى كل اتجاه،

ولابد وأنهم أصيبوا هكذا وهم يحاولون الفرار من النار ولم يكن يرفرف فوقهم إلا الصُمت الرهيب » (ص ١٣٦) .

(ثم يعرف السبب) « كان الجنرال بونابرت مع اثنين من قواده (...) وتجمع حولهم بعض الفلاحين ، وظن (الفرنسيون) أنه حب الاستطلاع (ثم اتضح أنهم يحضرون ومعهم العصى ، وانهالوا على بونابرت ورفاقه ضرباً) . فما كان من الفرسان إلا انهالوا عليهم بسيوفهم ، ثم حكم على كل سكان القرية بالقتل ، وأحرقت عن آخرها » (ص ١٣٧) .

هذه القصة ، على قسوتها ، نموذج مضحك لأوهام الفرنسيين ، الذين حضروا الى مصر على أن المصريين سيستقبلونهم كمحررين ، وعلى الرغم من المقاومة فى الأقاليم والثورة فى القاهرة ، فلايزال بونابرت يعتقد أن الالتفاف حوله دليل حب ويظن برنوابيه أن النار تعبير عن الفرحة . فشر البلية ما يضحك ، وقد بقيت هذة الأسطورة حتى أن أحد الصحفيين الذين حضروا إلى مصر أثناء العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ، قال إنه كان يظن أن المصريين سيستقبلونهم بالأحضان كما فعل أجدادهم أثناء الحملة الفرنسية ، مما يذكرنا بجحا الذى أرسل الأطفال إلى فرح وهمى ليتخلص منهم ، ثم جرى وراءهم ليأخذ نصيبه من

الحلوى هو أيضـــا ويأتى لتأكيد أوهــام بونابرت ، ما سيحدث بعـد ذلك ، عندما تقدم بعض الأتراك نحوهم فى غزة.

« فقـال لهم بونابرت أنه يجىء إليهم كصديق ، وأن هدفه الوحيد هو معاقبة الطغاة الذين يعذبون الشعب ، ليعطى هذا الشعب الإستقلال المطلق ، كانت هذه الكلمات جديرة بكهربة أى شعب غير الشعب السورى « أى الشعب الفلسطينى » لأن الشعب السورى تعود العبودية منذ قرون طويلة . وكلمات حرية واستقلال غريبة كل الغرابة عليه ولا معنى لها ، بالنسبة له » . (ص ١٤٢) .

لم يشـرح برنواييه مـايعنيه بونابرت بكلمات « الاستقلال المطلق » التى جاء ليهديها إلى الشعب السورى ، ولم يفهم برنواييه أن الشعب السورى أنضج من الفرنسيين ، إذ فـهم أن كلمات « حرية واستقلال » مضمون أكثر منها شعارات جوفاء ، وبالتالى ، فلم يصدق هذه الكلمات عندما استعملها جيش مسلح ومستعمر ، كما لم يفهم . مافهمه كليبر وقاله لقائده بونابرت عندما شرح له ما يمكن أن ينتظر من شعب هزم جيشه فلأصبح ضـعيفا وذليـلا » (ص٤٤) .

« فى مدن سوريا (بعد غزة) ... الشعب فى كل مكان طائع ومستعد دائماً لطاعة المنتصر الذى حضر لاستعباده » (ص ١٤٢) .

ثم تجىء حقيقة « الحرية الفرنسية » التى حضر بونابرت ليعطيها للشعب .

« لو أن انتصاراتنا فى سوريا (أى فلسطين) وصلت الى فرنسا ، فلا شك أنهم سيبتهلون الى الله شكرًا له . ولكن ، إذا ما شاهدوا مثلى الآثار الحزينة لمدينة يافا المسكينة ، والجرائم البشعة التى ذهب ضحيتها السكان ، فإنهم سيتساءلون بسخط عن الآلهة التى تحمى مثل هذه الأفعال . ولو أن قانون الحرب يسمح بذلك ، إلا أن ما شاهدته يجعل البدن يقشعر .

« وصلنا يوم ٢٢ تحت أسوار يافا ، الفرق التى تدافع عن هذه القلعة مكونة من محاربين من دول مختلفة ، وقد جمعوا بسرعة، ومع ذلك ، فهذا التجمع من الجنود الأجانب كان يدافع باصرار ، عن قلعة لا يحميها إلا سور بدون خندق ، التعصب الدينى الأعمى كان يقوى من عزيمة هؤلاء الجند الذين لم يخافوا محاربة الفرنسيين وهم وراء هذه الأسوار الضعيفة » (ص ١٤٤) .

نلاحظ طبعًا أن كل ما هو شجاعة خارقة وبالتالى صفة حميدة ، يتحول فى هذا النص – وفى كل النصوص الأخرى – الى سبة ، وهو التطرف الدينى الأعمى . ولا منطق يشرح هذا الكلام إلا ما سبق وشرحناه عن كره فلسفة التنوير لكل ما هو دين ، وهذا لا يبرر منطق برنوابيه طبعًا ، والذى حدث أن بونابرت أرسل

ضابطا يطلب من الحامية أن تستسلم ، فما كان من قائد الحامية إلا أن أمر بقتله ، لما في هذا الأمر من وقاحة فائقة .

« لم أكن أتخيل مجزرة أبشع مما رأيت : كانت فرقنا تنتقم لوفاة رسولنا ! وعلاوة على ذلك ، فالاصرار المتعجرف الذى جعل المحاصرين لا يستسلمون ، كان يهيج من ثورة جنودنا (...) كل شيء قتل وحرق ، لم تتوقف فرقنا عن القتل إلا عندما أعياها الجهد لكثرة الذبح : لم يمنعهم لا الجنس ولا السن » (ص ١٤٥) .

ثم وعد بونابرت ألفًا وخمسمائة جندى أن يعيدهم سالمين الى بلادهم إذا ما استسلموا ، وعندما وافقوا ، أمر بقتلهم كلهم رميًا بالرصاص ، وتسبب هذا في استياء ضباط وجنود الجيش الفرنسى ، وقالوا في خطاباتهم ، أن الله سيعاقبهم حتمًا على هذه الخيانة البشعة ، وعندما ظهر الطاعون بينهم فيما بعد ، قيل إنه عقاب الله لفعلتهم الجبانة ، ولنعود الى يوم المذبحة !

« وبعد ذلك ، شاهدنا مناظر مؤسفة تتلاحق أمامنا : رأينا الجند يعودون الواحد تلو الآخر الى المعسكر ، وهم محملون بكل أنواع البضائع ، ولكن حدث ما لم أره من قبل ، شاهدت تجارة الفتيات وهم يبدلونهن بألف شيء » (ص ١٤٧) .

قالت فريسة أحد الضباط إنها إبنة الحاكم ولا يحق له أن يأخذها ، فأخرج سيفه وذبحها أمام الجميع . وعندما عرف

بونابرت بما تتسببه هؤلاء البائسات من فوضى فى المسكر ، أمر بإعدامهن كلهن !..

وأرسل بونابرت بيانًا الى سكان نابلس ، يطلب فيه من السكان تسليمه المماليك . وإلا حاربهم ، وكان فى نفس الوقت يؤكد نواياه السلمية لمن يثبت أنه صديقه .

« أرسل بونابرت بيانه هذا الى القدس أيضا (...) والى بيت عانيا وبيت لحم وأريحا ، ليبشر بمجيئه وبنواياه السلمية » (ص ١٤٩) .

« ولكن هذا البيان لم يهدىء من روع الشعب الذى عرف ما بدر من بونابرت فى يافا » (ص ١٥٢) .

ويبدو أن الشعوب بدأت تفهم معنى كلمة « النوايا السلمية » بالفرنسية !..

وبعد أن فشل بونابرت فى حصار عكا ، عاد أدراجه والطاعون والجوع والعطش تحصد من رجاله المئات .

« حتى يعاقب بونابرت سكان هذه المنطقة على الاستقبال السيىء الذى قابلونا به فى طريقنا الى عكا ، أرسل بعض الجند : فانتشروا فى كل القرى ، وجعلوا كل السكان يهربون ، وأخذوا منهم كل حيواناتهم ، وأحرقوا كل مساكنهم . وبعد فترة وجيزة ،

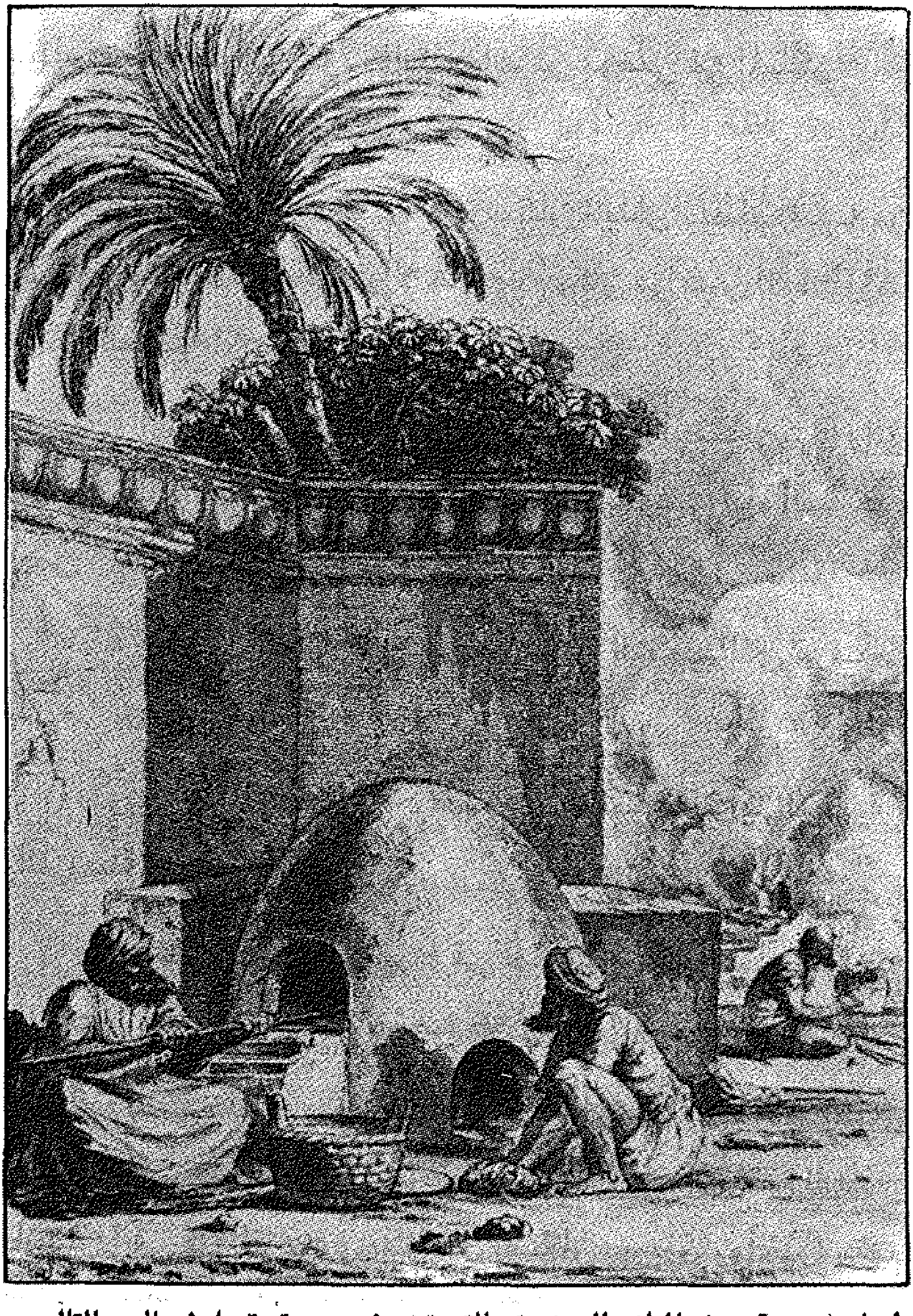

أفران مصرية . هذه المباني الصغيرة ، التي تبنى في يوم وتستعمل في اليوم التالي ، لها فائدة كبيرة للحملة . إن العرب في غاية المهارة والسرعة في إشادة مثل هذه الأبنية

أصبحت هذه المنطقة الجميلة صورة للخراب ، استطاع بونابرت ، بانتقامه هذا من السكان ، أن يحرم عدونا من كل موارده ، في حالة ما إذا فكر في متابعتنا » (...) . « وفى يافا ، بقى الجيش ثلاثة أيام لينتهى من تدمير المدينة ، وتحطيم كل التحصينات » (ص ١٦٦) .

يقول هنرى لورنس فى كتابه عن الحملة الفرنسية ، إن السكان احتموا من جيش بونابرت فى المرتفعات ومكثوا بها ، حتى جاءت الموجة الصهيونية ، فكان من السهل على اليهود استيطان الشاطىء الخالى من السكان .

وأخيراً ، ولأول وآخر مرة ، نقابل فى خطابات ومذكرات من عاش أحداث الحملة ، نقابل سرد تفاصيل حوار بين الفرنسيين والمصريين حول ما يسمى بمبادىء الثورة ، والحرية منها بالذات ، كان الجيش الفرنسى يشكو من الجوع والعطش فى طريق عودته الى مصر ، بعد فشل حصار عكا ، وإذ ببعض الضباط يجدون ديرا على طريقهم ، فيتوقفون ، ويهددون الكهنة ، ويذعن هؤلاء للتهديد ويسلمونهم الطعام الذى كان مخصصاً لهم ، فيدعو الضباط كبير الكهنة الى الأكل معهم .

بالاستقلال جعل كل منا يتخيل الحكومة المثلى لإسعاد الشعوب ، ولكن كبير الكهنة أيضاً كان قد تأثر يالنبيذ ، وأراد أن يعبر عن رأيه هو أيضاً (فـأخـذ يدافع عن الدين) ، هذا الكلام أثارنا ، فاندفعنا نحوه وكأننا الموج الهائج ونحن ننعته بأقذر الحماقات » (ص ١٧١) .

وهكذا ، انتهى درس التنوير الوحيد الذى قابلناه ولم يكن أكثر من حماقات سكارى .

فى طريق العودة الى مصر ، أمر بونابرت طبيب الجيش بدس السم لمرضى الطاعون ، وكان من بينهم لالمان خادم برنواييه، وقد حذره أحد أصدقائه بعدم شرب ما يقدم له ، ثم يسمع المرضى عن إنسحاب بونابرت وجيشه .

وفجأة ، فتح باب الحجرة التى كان يرقد فيها ، بعنف شديد ودخل عليهم بسرعة أتراك وفى يدهم السيوف . وظن أنه لابد هالك ، ولكن ، عندما رأى تصرفاتهم ، كانت المفاجأة ، إذ ارتسمت على وجوههم كل علامات الشفقة ، والاندهاش والفزع من رؤية هذا العدد من المرضى والمحتضرين (...) . وهكذا ، أنقذ حوالى أربعين بفضل تفانى الأتراك (...) . ثم ترك لهم الاختيار ، بين الانضمام الى صفوفهم أو العودة الى الفرنسيين ، وفضل العدد

الأكبر الانضمام الى الأتراك ، ولا شك أنهم سيصبحون بعد ذلك من أشد الأعداء للفرنسيين » (ص ١٨١) .

أما الخادم لالمان ، فقد فضل العودة الى مصر ، حيث لحق بسيده برنواييه ، وعاد كل منهما الى فرنسا مع بونابرت عندما سافر القائد العام فى أغسطس ١٧٩٩ .

Viyage dans Le Basse et La Haute-Egypte par VivantDenor

Présenration de Jean-Claud VATIN, IFAD, Le Caire.

كتاب « رحلة الى مصر السفلى ومصر العليا » هو مذكرات الفنان الرسام ڤيڤان دينون ، التى نشرها بعد عودته من مصر ، حيث كان من المقربين من بونابرت ، لما يقوم به من دعاية له . وقد أعاد المعهد الفرنسى بالقاهرة نشر هذه المذكرات تحت إشراف جان - كلود ڤاتان ، وهى فى جزئين ، والجزء الثانى مخصص للوحات جميلة استطاع دينون أن يرسمها بين معركة وأخرى . ومن المعروف أنه كان ، قبل سفر الحملة ، من أكثر المشجعين لفكرة استعمار مصر ، لتعوض بها فرنسا فقدان مستعمراتها الأخرى فى أمريكا وفى الهند .

« تجولت فى بلد لا تعرف عنه أوربا غير الاسم ، فكان كل

صورة لإمرأة مصرية

شيء مهما للوصف » .

(الهجوم على الاسكندرية والمقاومة) .

« لم يهرب منهم أحد ، فكان لابد من قتل كل من وجد على الأسوار ، وقد مات منا مائتا جندى » (ص ١٧) .

« أسطورة قديمة كانت قد أكدت أنه اذا ما دخل مركب من الفرنجة الى الميناء القديم ، فسيطرة المسلمين على الاسكندرية ستنتهى ، وقد حققنا بمركبنا هذه النبوءة » (ص ١٧) .

لم نسمع عن هذه النبوءة من غيره ، ولا نجدها مثلا عند الجبرتى ، ولكنها ترشدنا الى ما كان يراه الفرنسيون من طباع الهنود الحمر في المصريين ، إذ قيل أن نبوءة كانت تؤكد للهنود الحمر أن سيطرتهم ستنتهى عندما تحضر اليهم آلهة من البحار الشرقية للبلاد ، وقيل أن هذه النبوءة كانت مما جعل الهنود يتخاذلون لتأكدهم أن الأسبان القادمين اليهم ، آلهة وليسوا بشرا . والموقف هنا يكاد يكون مضحكًا ، لسذاجة دينون ، لأن هذه المذكرات نشرت فى فرنسا بعد عودة البلاد الى المسلمين بالفعل .

يخرج وحده فى مركب صغير بالليل مع مصرى .

« بدأت أشعر أننى استهنت بنفسى ، فأنا موجود فى هذه الساعة ، تحت رحمة الرياح ، وسط بحر هائج ، وحيداً مع رجل ، يستطيع ، مثله مثل باقى مواطنيه ، أن يبغض الفرنسيين ، وذلك

دون أى ظلم ، وقد يريد الانتقام » (ص ١٨) .

نلاحظ أنه ، على تحمسه الشديد للمشروع الاستعمارى واعجابه بمشروعات بونابرت ، إلا أنه يفهم أن من حق المصريين كراهية الفرنسيين ... أو على الأقل ، إعترف بهذا الحق فى هذه السطور القليلة .

« بونابرت ، الذى استولى على الاسكندرية بنفس السرعة التى استولى بها (الملك) القديس لويس (التاسع) على دمياط ، لم يقترف فيها نفس الأخطاء » (ص ٢٣) .

نلاحظ ربط الحملة الحديثة بالحملة الصليبية للملك لويس التاسع ، وذلك بعد مرور خمسة قرون من الزمن .

عن معركة امبابة .

« أحسن فرسان فى الشرق ، بل قد يكونون أحسن فرسان فى العالم ، إنكسروا أمام حفنة من الجنود مدججين بالسونكى » (ص ٢٧) .

كان عدد الجند الفرنسيين فى الحقيقة أضعاف أضعاف المماليك .

« لقد استطعنا طرد المماليك وهذه حقيقة ، ولكن ، عندما وصلنا ، ونحن تحت وطأة الاحتياجات الشتى ، ألم نحل محلهم بعد

أن طردناهم ؟ » (ص ٣١) .

قسوة حياة البدو لا مغالاة فيها : فالأسرى الذين أخذوا من بيننا ، وهم يصفون ما عانوه من عذاب أثناء أسرهم ، كانوا يعتبرونه جزءاً من طريقة عيش هؤلاء القوم ، وليس نتيجة بربريتهم (...) وهؤلاء الضباط لم يشتكوا من أى معاملة سيئة ، ولم يحتفظوا بذكرى أليمة ، من ظرف بائس ، كان عليهم أن يشاركوا فيه حياة سجانيهم الخشنة » (ص ٣١) .

عن المقاومة ، مشهد يتكرر مرارا .

« بعد أن جرحوا كلهم ، قبض عليهم ، وأعدموا كلهم . أيقن آنذاك الجنرال مينو أنه لابد من تلقينهم درساً قاسياً . فانطلقنا ومعنا مائتا جندى (...) . وجدنا العدو على الجياد أمام القرية ، مستعداً للمعركة . هجموا علينا فى أول الأمر ، وحتى الالتحام بالسونكى (وتكون الغلبة للفرنسيين طبعاً) . تركت القرية للسلب والنهب باقى اليوم ، ثم أحرقت عن آخرها فى المساء : كان اللهب وصوت المدافع يخبر الناس ، على بعد عشرة فراسخ ، طيلة الليل ، أن انتقامنا كان كاملا ورهيبا » (ص ٣٢) .

« عدنا الى فوه ، حيث استقبلنا كمنتصرين ، يعرفون كيف يحدون من انتقامهم (ثم ...) استمع السكان باحترام وخضوع

مكره أخاك لا بطل : شعب مهزوم يستمع فى خضوع طبعا الى أى شىء ، ولكن ، لم « الاحترام » ؟! إن الأوهام الفرنسية لا حد لها كما نرى .

ونرى الآن كيف يفكر الفرنسيون بمنطلق أعرج ، يسمح لهم بكل شىء ، أو بالأصح ، بالشىء نفسه وضده فى آن واحد : الاستفادة من الوضع الراهن ، وراحة الضمير أمام نواياهم الحسنة التى لم تطبق إلا فى خيالهم وبقيت فى الأسطورة المتداولة.

« مندوبو هذه المنطقة قدموا ما تبقى لديهم من دجاج وأوز للجند الذين حضروا ليخلصوهم من تأنيب الضمير (تأنيب ضمير لأنهم دافعوا عن حريتهم !) الذى كان يؤرقهم منذ ثلاثة أسابيع . كنا نستقبل فى كل قرية على الطريقة الاقطاعية ، وكانت أهم شخصية فى البلدة تستقبلنا ، وتجعل الأهالى يدفعون الثمن بعد ذلك ، كان لابد لنا أن نتعرف على هذا التعسف قبل معالجته ، ولو أننا كنا منبهرين بالسهولة التى أتاحت لنا دراسة تقاليد بلد ، كنا سنغير من طباعه ، فكنا نترك الأمر على ما هو عليه فى هذه المرة (ص ٣٣ - ٣٤) .

الحقيقة أن ما رآه فى أول الأمر هو الذى حدث : لم يغيروا شيئا لأنهم حلوا محل المماليك ، لا أكثر ولا أقل .

مشهد يتكرر كثيراً :

« رسمت قرية (قرية ألقان Alcan) ، هذه القرية التى قتل فيها الضابط چوليان وخمسة وعشرون من جنده ، وقد طرد سكانه ، وأحرقت كلها » (ص ٥٨) .

الأسطورة تقول إن الجيش الفرنسى جاء ليعلم الشعب المصرى مبادىء الثورة والتنوير وليحرره من سطوة المماليك ، والحقيقة التى سنراها تثبت أنه كان بالفعل جيش مرتزقة لا يهمه إلا السلب والنهب .

« فى كفر شاباس ، عاد الطبيب مسرعًا وهو يقول : إنهم ينتظروننا بالبنادق (...) وأخذوا يطلقون علينا النار (...) سقط الضابط فى الماء ، بينما تشتت جنده ليجروا وراء الأهالى ، الذين كانوا يحملون أمتعتهم ، فركض الجنرالان ليحاولا تنظيم هذه الفوضى لجمع شمل الفرقة ، ومن أجل ذلك ، اضطررنا الى المرور تحت نيران العدو ، وقد مات وجرح الكثير من العسكر (بسبب هذا النهم للسلب) (ص ٥٥) .

الهدف الأساسى من الحملة : تغيير تقاليد المصريين ، هل لنا أن نسأل لماذا ؟ وما هى الفائدة العائدة على الفرنسيين من تحويل المصريين الى فرنسيين ؟

رسمت هــذه الصـــورة على الطبيعة ، لإمرأة جالسة على حـــافة الأريكة ، وترتدى عددا من الشيلان ، بجانبها مروحة من الريش ، وحذاؤها تحت الأريكة .

« سعادتى كبيرة لرسم المصريات فى اللحظة التى تسبق تأثيرنا على التقاليد الشرقية ، التى قد ترفع من الحجاب الذى يغلفهن » (ص ٤٩) .

المقاومة مستمرة ولا تهدأ يومًا واحدًا ... مما يجعلنا نتساءل ، متى وجد الجيش وقتًا لتلقين المصريين دروسًا فى التنوير ؟

« كان العدو يسير (نحونا ...) وشاهدنا أعلامه (...) أرسلنا اليهم القناصة ، وفى نفس اللحظة ، احتدم العراك ، وعلى الرغم من مدافعنا ، فإنهم لم ينسحبوا : كانت شجاعتهم وتفانيهم تحل محل الأسلحة التى افتقروا اليها . ولكن ، بعد أن حطمنا هذه المقدمة أكثر مما دحرناها ، وجدنا المقاومة فى القرى أكثر ضراوة » (ص ١٤٩) .

وكلما ازداد قمع المقاومة عنفًا ، ازدادت ضراوة واتساعًا).

ان الثورة الفرنسية هى موضع فخر لا حد له بالنسبة للفرنسيين ، أما إذا ثار المصريون أيضا لحريتهم واستقلالهم ، فيكون هذا هو تعليق دينون ، ونذكر هنا بكل ما يعنيه مفهوم الدين لأبناء هذا الجيل من احتقار وازدراء . عن ثورة القاهرة الأولى ، كتب قائلا :

« إن الغوغاء ، وبعض الكبار ، وكل الأتقياء ، أثبتوا منتهى التعصب الدينى الأعمى والشرس أثناء الثورة » (ص ٦١) .

ثم يرحل دينون مع الجنرال ديسى ، فى حملته على مراد بك في صعيد مصر . ولم يستطع الجنرال التخلص منه ، وعاشوا أثناء هذه الحملة الثانية حربا يومية قاتلة ، ولم يهدأ لهم بال لليلة واحدة . وتقول الأسطورة ان الفلاحين في صعيد مصر ، والبدو ، يذكرون حتى الآن محاسن هذا القائد ، الذى يلقب عندهم « بالسلطان العادل » ، وسنرى حقيقة عدل هذا الجيش من خلال ما يحكيه دينون لنا .

« لم نستطع إنقاذ قرية (السق Alsack) من النهب والسلب لأننا وصلنا اليه متأخرين ، لم يمض ربع الساعة ، إلا وخلت البيوت من كل شيء ، هرب السكان العرب فى الحقول ، فقيل لهم أن يرجعوا ، فأجابوا ببرود شديد : « وعم نبحث فى بيوتنا ؟ أليست هذه الحقول الجرداء بالنسبة لنا مثل منازلنا ؟ » ولم نكن نستطيع الاجابة على هذه الجملة البليغة » (ص ٩١) .

« ذهبنا مع فرقة مكونة من ثلاثمائة رجل لنحصل الميرى ، أو ضريبة الأرض ، ومصادرة الخيل والجاموس : كنا فى ذلك نتبع وسائل المماليك الذين يقومون بنفس الرحلة العسكرية فى المقاطعات

التي ولوا عليها ، وهم يعسكرون أمام المدن والقرى، ويأكلون على نفقة أهلها الي أن يدفع لهم ما جاءوا في طلبه » (ص ٧٥) .

« كانوا يقولون عنا أننا « آفة من عند الله » أرسلها عليهم ليعاقبهم على خطاياهم ، وفي الحقيقة ، كان يجدر بهم أن يطلقوا علينا إسما أكثر عنفًا » (ص ٨٩) .

قاومت جزيرة فيلة مقاومة عنيفة صدت الفرنسيين أكثر من مرة .

« ولم يكن في إمكاننا (ونحن على ضفاف النيل) تغيير قرارهم . ولكن ترك حفنة من الفلاحين الوقحين على بعد أربع خطوات من إقامتنا ، قدوة سيئة للآخرين ، ولذا قررنا العودة مرة أخرى في ثاني يوم (...) وعدنا بالفعل ومعنا مائتان من الجند ، وعندما رأوهم ، بدأوا في الاستعداد للقتال (...) صرخنا فيهم أننا لا نريد لهم مكروها ولا نطلب منهم إلا الدخول الودي في الجزيرة .

... المهم : بدأ ضربهم بالمدافع ، وتم سحقهم طبعا . كان تفريغ ما في مخازن الجزيرة عملية قام بها الجند حتى آخر النهار (ص ١٣٧) . (وهكذا ، عرف معنى كلمة « الدخول الودي » . ويصف دينون كيف كانت الأمهات يشوهن بناتهن حتى لا تغتصب ،

ويعجب من وحشيتهن . مما يذكرنا بما قاله بونابرت لجنده ، في أول بيان له قبل الوصول الى مصر : « الشعوب التى نذهب اليها تعامل النساء بطريقة مختلفة عنا ، ولكن الذى يغتصب امرأة فى أى بلد فى العالم وحش كاسر ، والسلب لا يثرى إلا قلة من الرجال ، ولكنه أمر مخز لنا ويبدد مواردنا ، وهو يجعلنا أعداء للشعوب التي نريدها صديقة لنا لمصلحتنا » . وأغلب المؤرخين نسخوا هذه الكلمات ، ولم يتحدثوا بعد ذلك عن السلب والنهب والاغتصاب ، فكانت النتيجة أن القارىء يظن أن الجند الفرنسيين تصرفوا كملائكة رحمة فى مصر ، ولم يكونوا جيشاً غازيا ومستعمراً بكل المعانى المعروفة للكلمة ولقانون الحرب فى هذا العصر .

« كان لابد من تجويع البلد لنبعد العدو (...) كنا نأخذ معنا الأهالى ، فيتحول البلد بعد مرورنا الى أرض جرداء » (ص ١٣٦) :

« بعد ثلاث عشرة ساعة من السير ، وصلنا لنبيت فى (جمارسييم Gamaressiem) ، لسوء حظ هذه القرية ، لأن صراخ النساء جعلنا نفهم أن جنودنا ، انتهزوا فرصة حلول الليل ، وعلى الرغم من تعبهم ، كان لايزال لديهم فائض من الطاقة ، وبحجة البحث عن مؤن ، كانوا ينتزعون بالفعل مالا هم فى حاجة اليه . فما كان من السكان ، بعد أن نهبوا واغتصبوا ، وقد فاض

بهم الكيل ، أن هجموا على الدوريات التي أرسلناها للدفاع عنهم ، وردت الدوريات بقتل الأهالى لأنهم لا يستطيعون التفاهم مع أهل القرية ، ولا يستطيعون شرح الموقف لهم (...) ما أكثرك يا حرب بريقًا فى التاريخ ! ولكن اذا ما شاهدناك عن قرب ، تحولت الى وجه شنيع ، عندما لا تخفين بشاعة التفاصيل ! » (ص ١٠٢) .

وما أعجب منطقه فى الصفحة التالية ، منطق أقل ما يقال عنه أنه أعرج :

« فى يوم ٢٣ ، علمنا أن فرساننا قابلوا تجمعًا فى المنشية ، وقتلوا ألفًا من هؤلاء المنحرفين ، درس لا أخوة فيه ، ولكن موقفنا يجعله ضروريا : هذه المقاطعة ، التى كانت دائمًا ثائرة ، لها سمعة فظيعة ، وكان لابد لها أن تتعلم ألا تقارن بنا (...) ربما كان لابد لهم أيضا أن يقتنعوا أننا أكثر انتقاما وأقل تسامحا مما يظنون .

« وأخيرا ، قد يكون السبب أننا لا نجد وقتا لموعظتهم ، فلابد ، نظرا للظروف البائسة ، أن نعاقب بشدة من يصرون على عدم تصديقنا عندما نقول لهم أن كل ما نفعله ما هو إلا لصالحهم » (ص ١٠٥) .

لم ير المصريون ، على حد قوله هو نفسه ، إلا القتل والسلب والنهب والاغتصاب ، ويريد أن يفهموا أن كل ذلك ما هو إلا لصالحهم ، منطق أعرج فعلا .

يتأكد خطأ منطقه فى السطور التالية . وهو يريد تعليم المصريين الشجاعة ، وهو نفسه يصف الفلاحين وهم يحاربون الفرنسيين بمدافعهم وبنادقهم ، وسلاح المصريين الوحيد هو العصى .

« من الممكن أن نقول أن المصرى على المستوى الشخصى حاذق وماهر (...) ولا أعرف الى أى مدى نستطيع جعله يتعلم الشجاعة ، ولكن ، لا يجب أن نرى دون فزع ، صفات الجند التى يتحلون بها ، فهم غاية فى الزهد ، يسيرون كأحسن عدائين ، يركبون الخيل وكأنهم من الأساطير ، يسبحون كالدرافيل ، ومع هذا ، فهم شعب مكون من ملايين كثيرة ، له كل هذه الصفات ، وأربعة آلاف فرنسى منعزلون يحكمونهم بعنف على مساحة مائتى فرسخ ! لأن عادة الطاعة طريقة حياة مثل عادة القيادة ، حتى ينام البعض فى تعسف سلطته ، بينما يصحو الآخر على صوت أغلاله » (ص ١٠٨) .

وفى نفس الصفحة من الكتاب ، وبعد هذا الكلام مباشرة ، يجىء الدليل القاطع الواقعى على افترائه) .

« ألفان من العرب على الجياد وخمسة أو ستة آلاف فلاح من المشاة ، ظنوا أنهم يستطيعون سحق الخيالة (الفرنسية) (...)

تقـدموا أمام طاطا ، عنـدما اكتشفهم الفرسان مستعدين للحرب » (ص ١٠٨) .

« وصلنا أمام قرية ، لم نعرف اسمها إلا فى اليوم التالى وكانت البيرا ، لأننا عندما وصلنا فى المساء ، لم نجد بها ساكنا واحدا ليخبرنا ، أنا أحب أن نجد القرى دون سكان ، حتى لا أسمع صراخ الأهالى ونحن مضطرون لتجريدهم من كل شىء ، لم يتبق فى القرية إلا الحوائط ، فالأبواب وكل الأخشاب كانت قد خلعت وأخذها أهلها معهم ، والقرية ، بعد تركها بساعتين كانت تبدو وكأنها أثر عمره قرنا من الزمن » (ص ١٠٩) .

« توجهنا الى فارشنت (...) هذه القرية البائسة كانت قد سلبت قبل بضع ساعات على يد المماليك (...) وصلنا ، وسلبنا ما تبقى فى المخازن ، حاولنا جمع العسكر لمنع هذه الفوضى ، ولكن ، كان يجب فى الواقع معاقبة الجيش بأسره (...) وحتى نتفادى نظرات اللوم فى أعين الأهالى ، تركناها فى منتصف الليل » (ص ١١٠) .

« وصلنا فى الحادية عشرة الى قرية كبيرة ، لم أعرف اسمها أبدا ، حيث تجول العسكر ، لسوء حظها ولخراب أصلها » (ص ١١١) .

« فى اليوم التالى ، لم يكن يتبقى لنا إلا ثلاثة أرباع فرسخ ، حتى نصل الى فرساننا ، وهم لم يتقدمونا إلا لأكل البلد قبلنا » (ص ١٢٧) .

« كنا نحارب منذ ست ساعات دون توقف عدوا عديم الخبرة ، ولكنه شجاع ومتعصب دينيا ، ويقاوم باصرار : لم يكن ينسحب إلا جماعة ، فكان واجب علينا قتل كل ما تقدم منه » (ص ١٥٠) .

ثم تكون هذه الصفحة البالغة الأهمية ، لأن دينون فيها ما كان ينبغى أن نقوله نحن :

« كنا نتباهى بأننا أكثر عدلا من المماليك ، وكنا نقترف كل يوم وبصورة اضطرارية عددا كبيرا من المظالم . صعوبة تمييز أعدائنا بناء على الشكل واللون ، كان يجعلنا نقتل يوميا فلاحين أبرياء ، كان الجند الذين نرسلهم للاستكشاف ، يظنون التجار المساكين من أهل مكة (الذين حضروا لمساعدة المصريين) . وقبل أن نصل لنعيد العدل - إذا ما كان هناك وقت للعدل - يكون الجند قد قتلوا اثنين أو ثلاثة ، وتكون قافلتهم قد سلبت أو بددت ، وجمالهم تم تبديلها بجمالنا الجريحة » (ص ١٥٨) .

« وعندما كان الفلاحون يذعنون لتهديدنا ، ويحضرون لدفع الميرى ، كما يحدث أحيانا ، كنا نظن تجمعهم بسبب كثرتهم عداء

لنا ، وعصيهم أسلحة ، فكان عليهم أن يتحملوا إطلاق رصاص القناصة ، أو الدوريات ، قبل أن يشرحوا موقفهم ، فكانوا يدفنون موتاهم ، ونظل أصدقاء الى أن تتيح لهم فرصة انتقام أكيد ، والحق يقال أنهم إذا ما بقوا في منازلهم ، ودفعوا الميرى ، وأوفوا بكل احتياجات الجيش ، لوفر ذلك عليهم مشقة السفر والبقاء فى الصحراء . فى هذه الحالة ، كانوا يشاهدون مواردهم تؤكل بانتظام ، فيأكلون نصيبهم ، ويحتفظون ببعض أبوابهم ، ويبيعون البيض للجند ، ولا يغتصب إلا القليل من نسائهم وبناتهم » (ص ١٥٩) .

(ولا أعرف إن كان ما سيقوله بعد ذلك يقع تحت بند المفارقة أو المنطق الأعرج المستمر) « أما مصير السكان ، الذين جئنا إلى مصر ، بلا شك لإسعادهم ، فحالهم لم يكن أحسن حالا (مما سلف) : إذا ما اقتربنا منهم فخافوا وتركوا منازلهم ، ثم عادوا إليها بعد رحيلنا ، تراهم لا يجيدون فيها إلا الطين الذى بنيت به ؛ فكل الأدوات ، والمحارث ، والأبواب والأسقف ، كانت تستعمل لإيقاد النار (من أجل طهى طعام جنودنا) : كانت كل الأوعية تكسر ، وكل الغلال تؤكل ، وكل الفراخ والحمام يشوى ؛ ولا يتبقى إلا جثث الكلاب لأنها أرادت حماية ممتلكات أسيادها . ولو أننا مكثنا فى هذه القرية ، يصدر الأمر لهؤلاء البؤساء بالعودة ، وإلا

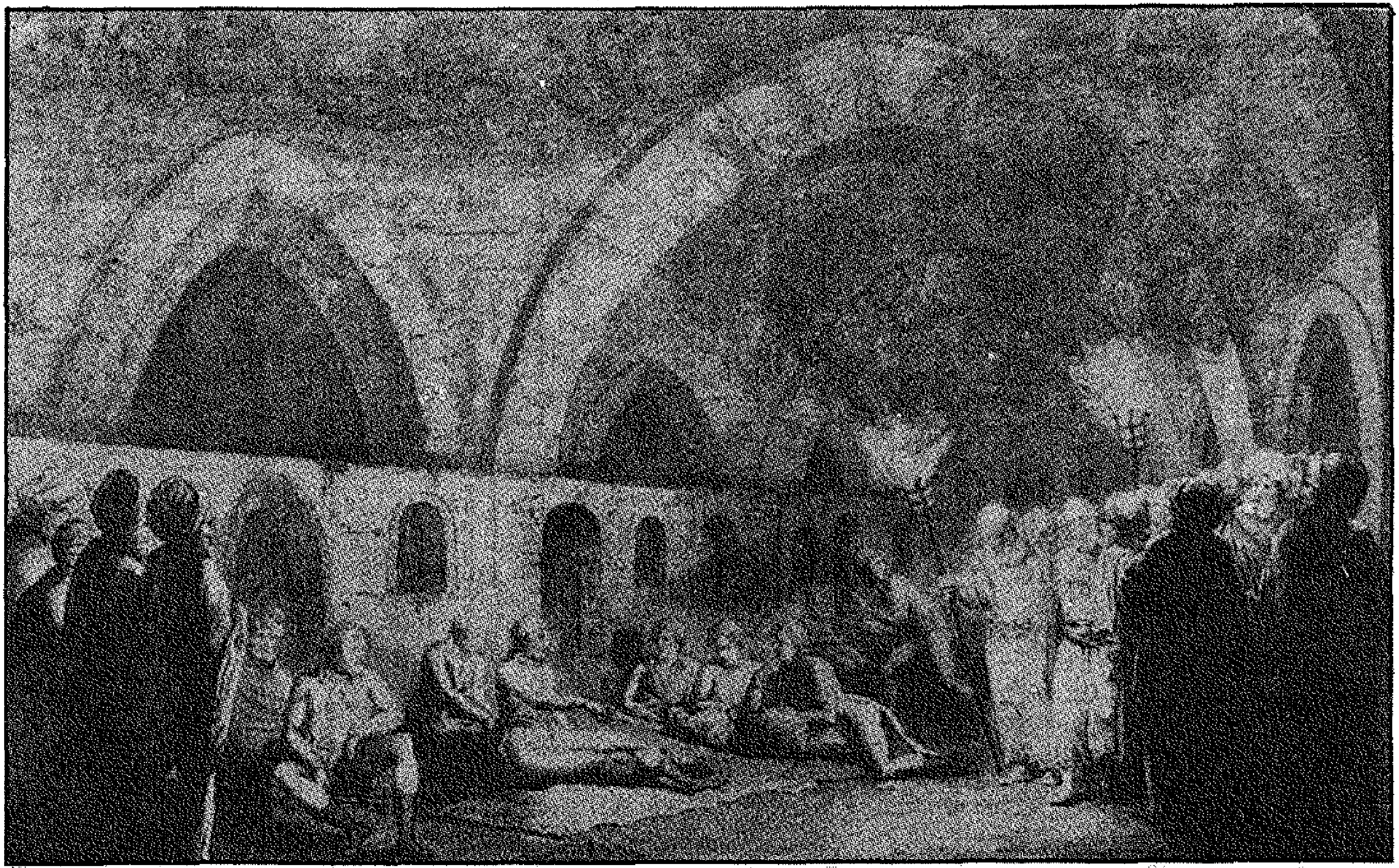

القيادة العامة فى داخل المقابر ، بجوار نجادى ، ومن الجهة الأخرى ، الموظفون الأقباط والمترجمون ، فى الصف الثانى ، الجنرال بليار ، ضباطه وأنا . المنظر لطيف بالنسبة للاضاءة ، وهو يعطى فكرة حقيقية لطريقة عيشنا فى هذه الفترة .

عوملوا على أنهم متمردون متواطئون مع أعدائنا ، وبالتالى ، تضاعف الغرامه التى يدفعونها » (١٥٨) .

(وختاما ، نذكر أن دينون كان من أكثر المتحمسين للمشروع الاستعمارى ، ويحلم بجلب الأوربيين والأمريكان إلى مصر للاستيطان فيها ، ولا يقول طبعا مصير المصريين فى هذه الحالة المثلى ...)

نكتفى بهذا القدر من المقتطفات التى ثبتت لنا أن الجيش لم يكن ، على عكس ما قيل ، حاملا لرسالة تحضر ، ولكنه كان جيشا استعماريا مثله مثل غيره من الجيوش الاستعمارية فى هذا العصر . وهناك أيضا ما نجده فى مكاتبات كليبر وبيانات مينو التى تؤكد هذه الحقيقة . وهى ترشدنا إلى الطريقة التى كانت تدار بها شئون الدولة ، ولا هم للفرنسيين إلا جمع المال ، وتطبيق ما أسموه « بسياسة عصر الليمونة إلى الآخر » .

وكذلك مذكرات النقيب مواريه ، الذى كره البلد ولم يكن لأهلها إلا الاحتقار والإزدراء ، وفرح لتركه بلد « كان شؤما على أجدادنا وعلينا » ، ونرى معه كيف سيطرت فكرة الانتقام للصليبيين ، وهزيمة لويس التاسع فى مصر . وأثناء الأسابيع القليلة التى عاشها مواريه مع فرقته دون حرب أو بشائع كان أول من إقشعر لها بدنه ، وهو الجندى المحترف المحنك ، نراه لا يفكر

إلا فى ركوب الحمير للتسلية ، والبحث عن النساء ، لأن لا هم له ، مثله فى ذلك مثل باقي زملائه ، إلا قضاء وقتا سعيدا ، بعيدا كل البعد عما يسمى بمبادئ الثورة التى لقنها الجيش الفرنسى للشعب المصرى .

ها قد أخذنا فكرة واقعية عن الحقيقة التاريخية وراء أسطورة الجند الذين تعايشوا فى صفاء مع الشعب المصرى ، فعلموهم مبادئ الثورة الثلاث ، وأخرجوهم من ظلمات الماضى التى كانت تحجب عنهم التنوير والتقدم ، فكانت النتيجة نهضة مصر العثمانية المتخلفة فى القرن التاسع عشر ، ودخول مصر إلى يومنا هذا ، فى العصر الحديث على أيدى بونابرت وجنده .

ولو أننا بصدد مناقشة الحملة نفسها وتقييمها كحدث تاريخى له آثاره ونتائجه ، ولو لم يكن هدفنا من هذه الدراسة ، أن ندحض الأسطورة بعد التمحيص فى حقيقتها التاريخية ، لرأينا أن الواقع يثبت أن لا أثر يذكر لها على مستوى التاريخ العام لمصر ، اللهم إلا عودة النفوذ العثمانى العسكرى بقوة كان قد نقدها قبل الحملة ، وجلب محمد على كضابط تركى إلى مصر . ونظرا لعلاقة مصر بالدولة العثمانية ، فكان يمكن وجود سبب أخر لحضوره . ولو أننا قمنا بافتراض أن الحملة لم تحضر إلى مصر ، لما وجدنا شيئا قد تغير فى المجرى الأساسى للأحداث ؛ بينما تاريخ مصر كله في

القرنين التاسع عشر والعشرين لا يفهم إذا ما تخيلنا غياب محمد علي ، وحتى مشروعاته التي فشلت .

★★★

وبعد هذا ، يتبقى طبعا أسئلة كثيرة ، أهمها لماذا اعترفت فرنسا بكل الحروب القومية الشعبية في أوربا ضد إحتلالها لها ، ولم تعترف إلا مؤخرا - بعد عام ١٩٨٠ - بأن مصر أيضا قاومت الوجود العسكري الاستعماري الفرنسي . وهي مع ذلك لا تعترف بعد أن في مصر ، كانت أولى هزائم بونابرت .

وقد يكون أحسن مثل على هذا ، كل ما حكي عن المقاومات الشعبية في أسبانيا ، والنمسا وألمانيا ، وروسيا ، وظروف أسبانيا أقرب الظروف إلى ما حدث في مصر . وفي كل هذه الحروب القومية ، لعبت الكنيسة الكاثوليكية الدور الريادي مثلما لعب الأزهر دوره الريادي في المقاومة في مصر . فالسبب إذا ليس دور الدين في المقاومة ، ولا بما سمي في كل هذه البلاد من « غوغاء » .

وقد صدق روبسبيير ، وكأنه يتنبأ بالمستقبل ، عندما حاول منع حكومة الثورة من الانسياق وراء نزوة الفتوحات باسم تصدير مبادئ الثورة ، قائلا : « إن أكثر الأفكار شذوذا تلك التي تجعل السياسي يعتقد أنه يكفي لشعب أن يدخل مسلحا عند شعب غريب،

ليجعله يتبنى قوانينه ودستوره . يجب أن نعرف أن ما من أحد يحب هؤلاء المبشرين المسلحين » .

كما كتب كليبر نفسه فى مذكراته وهو فى القاهرة : « أنا أستمر فى مهنتى لسبب قوى ، (....) ، وهو أن أشارك ، بقدر المستطاع ، فى منع الأجانب من التدخل فى شئوننا الداخلية . إن هذا ، فى نظرى ، أكثر الأمور مهانة ، أن يحدث لأمة ، أن تتلقى حكومة وقوانين من الخارج . إنه الحدث الوحيد الذى يمكن ، إن حدث لى ، أن يجعلنى أتبرأ من وطنى وأعمالى . » فهل وصل إلى هذه النتيجة بسبب ما رآه بعد استعمار مصر ؟ أم تراه كره الحملة، ولذا حاول جاهدا الخروج من مصر بسبب هذه الفكرة ؟

أيا كان ، فلنذكر ما كتبه ، سنة ١٨٤٧ ، المفكر الفرنسى الكبير ألكسى دى توكفيل ، فى تقريره عن استعمار الجزائر : « لقد انطفأ التنوير من حولنا (...) لقد جعلنا المجتمع المسلم أكثر بؤساً ، وأكثر فوضى ، وأكثر جهلا وأكثر وحشية مما كان عليه قبل أن يعرفنا .

ولننهى حديثنا عن أسطورة التنوير الذى أحضره بونابرت الى مصر ، بنموذج من حديثه الى المشايخ والعلماء فى الديوان الذى يقال أنه علمهم الديموقراطية ، قال لهم بونابرت من بين ما قال :

« ... بلغوا الشعب وعرّفوه أن منذ بدء الخليقة ، كان مكتوباً أن بعد تحطيمي لأعداء الاسلام ، وبعد تكسيري للصلبان ، سأحضر من أقاصي الغرب لأتمم المهمة التي وكلت اليّ... أرشدوا الشعب ، الى أكثر من عشرين فقرة في كتاب القرآن المقدس ، تقول أن ما حدث كان مكتوباً ، وكذلك أن ما سيحدث كله مشروحاً . فليعرف اذن من يخشى أسلحتنا ويلعننا ، أن عليه تغيير مشاعره . لأنه إذا طلب من السماء دعاوى ضدنا ، فهو يتمنى هلاكه ، فليبارك المؤمنون الحقيقيون انتصار أسلحتنا .

« في استطاعتي محاسبة كل واحد منكم على مشاعره الدفينة في قلبه ، لأنني عليم بكل شيء ، حتى بما لا تبوحون به لأحد . ولكن سيجيء اليوم الذي سيرى فيه العالم أن كل المجهودات البشرية لا تستطيع فعل شيء ضدي ... » .

مع بداية سبتمبر القادم ١٩٩٢ يكتمل عمر دار الهلال قرنًا كاملاً من الزمان ، لعبت فيه دوراً ريادياً فى الصحافة والثقافة والفكر .

وبهذه المناسبة تتشرف دار الهلال أن تقدم مع العدد « ٥٠٠ » من كتاب الهلال ملحقًا خاصًا يشمل مجموعة الكتب التى أصدرتها سلسلة كتاب الهلال من العدد « ١ » الى العدد « ٥٠٠ » .

عام ١٩٥١

١ - عبقرية محمد	عباس محمود العقاد	يونيو
٢ - ماجلان قاهر البحار	ستيفان زفايج	يوليو
٣ - هارون الرشيد	د. أحمد أمين	اغسطس
٤ - أبو الشهداء	عباس محمود العقاد	سبتمبر
٥ - جنكيزخان - سفاح الشعوب	ف. زيان	أكتوبر
٦ - قلب النسر	أوكتاف أوبرى	نوفمبر
٧ - عمر مكرم	محمد فريد أبو حديد	ديسمبر

عـــام ١٩٥٢

٨ – غاندى : القديس الثائر	لويس فيشر	يناير
٩ – سعد زغلول	عباس محمود العقاد	فبراير
١٠ – أحمد عرابى	عبد الرحمن الرافعى	مارس
بطلة كربلاء	د. بنت الشاطىء	٢٠ مارس
١١ – اشعب أمير الطفيليين	توفيق الحكيم	ابريل
١٢ – نفرتيتى ربة الجمال والتاج	صوفى عبد الله	مايو
حديث رمضان	الامام محمد مصطفى المراغي	مايو
١٣ – عبقرية خالد	عباس محمود العقاد	يونيو
١٤ – الذئب الأغبـــــر – مصطفى كمال	الكابتن هـ.س. أرمسترونج	يوليو
١٥ – كليوباترا فى خان الخليلى	محمود تيمور	أغسطس
١٦ – الإسلام دين الفطرة	الشيخ عبد العزيز جاويش	سبتمبر
١٧ – لا تخف	ادوارد سبنسر كولز	أكتوبر
١٨ – مصطفى كامل	عبد الرحمن الرافعى	نوفمبر
١٩ – القائد الأعظم محمد على جناح	عباس محمود العقاد	ديسمبر

عــام ١٩٥٣

٢٠ - زينب	د. محمد حسين هيكل	يناير
٢١ - مذكرات عرابى ج ١	الزعيم أحمد عرابى	فبراير
٢٢ - مذكرات عرابى ج ٢	الزعيم أحمد عرابى	مارس
٢٣ - عبقرية عمر	عباس محمود العقاد	ابريل
٢٤ - آمنة بنت وهب	د. بنت الشاطىء	مايو
٢٥ - فاطمــة الزهــراء والفاطميون	عباس محمود العقاد	يونيو
٢٦ - عصــا الحكيم	توفيق الحكيم	يوليو
٢٧ - أبو نواس	عبد الرحمن صدقى	أغسطس
٢٨ - البؤســاء	فيكتور هيجو	سبتمبر
٢٩ - علمتنى الحياة	نخبــة من علمــاء الشرق والغرب	أكتوبر
٣٠ - فى الطريق	ابراهيم عبد القادر المازنى	نوفمبر
٣١ - مدرسة المغفلين	توفيق الحكيم	ديسمبر

عـــام ١٩٥٤

٣٢ – لا تقتل نفسك	بيتر شاينكرون	يناير
٣٣ – عصاميون من الشرق والغرب	لنخبة من كبار الكتاب	فبراير
٣٤ – الأرواح المتمـــردة الأجنحـــة المتكسـرة الموسيقى ثلاثة كتب في كتاب واحد	جبران خليل جبران	مارس
٣٥ – ذو النورين – عثمان بن عفان	عباس محمود العقاد	ابريل
٣٦ – محمد الثائر الأعظم	فتحي رضوان	مايو
٣٧ – عش مائة عام	جايلود هاوزر	يونيو
٣٨ – الحرية الحمراء	حبيب جاماتي	يوليو
٣٩ – أهل الكهف	توفيق الحكيم	أغسطس
٤٠ – الله	عباس محمود العقاد	سبتمبر
٤١ – عش شابا طول حياتك	فيكتور برجومولتز	أكتوبر
٤٢ – علم الفراسة الحديث	جرجى زيدان	نوفمبر
٤٣ – نساء النبى	د. بنت الشاطيء	ديسمبر

عـــام ١٩٥٥

٤٤ – ثائرون	محمود تيمور	يناير
٤٥ – زهرة العمر	توفيق الحكيم	فبراير
٤٦ – هذا مذهبى	بأقلام نخبة من الشرق والغرب	مارس
		ابريل
٤٧ – غادة النيل	اميل لودفيج	مايو
٤٨ – مطلع النور	عباس محمود العقاد	يونيو
٤٩ – يوميات نائب فى الأرياف		يوليو
٥٠ – طريق السعادة	توفيق الحكيم	أغسطس
٥١ – ألف ليلة وليلة ج ١	فيكتور بوشيه	سبتمبر
٥٢ – عبقرية الصديق	عباس محمود العقاد	أكتوبر
٥٣ – ألف ليلة وليلة ج ٢		
٥٤ – مدرسة الشيطان	توفيق الحكيم	نوفمبر
٥٥ – ألف ليلة وليلة ج ٣		ديسمبر

عــام ١٩٥٦

٥٦ - معاوية بن أبى سفيان	عباس محمود العقاد	يناير
٥٧ - ألف ليلة وليلة ج ٤		فبراير
٥٨ - اعرف نفسك	ادوارد سبنسر كولنز	مارس
٥٩ - ألف ليلة وليلة ج ٥		ابريل
٦٠ - مع الله .. في السماء	د. أحمد زكى	مايو
٦١ - ألف ليلة وليلة ج ٦		يونيو
٦٢ - قصة الثورة كاملة	أنور السادات	يوليو
٦٣ - جحا الضاحك المضحك	عباس محمود العقاد	أغسطس
٦٤ - بنات النبى	د. بنت الشاطىء	سبتمبر
٦٥ - عبقرية الامام على	عباس محمود العقاد	أكتوبر
٦٦ - شاعرة الطليعة :		
عائشة تيمور	الآنسة : مى	نوفمبر
٦٧ - الصديقة بنت الصديق	عباس محمود العقاد	ديسمبر

عام ١٩٥٧

٦٨ – بطل الكفاح الشهيد		
محمد فريد	عبد الرحمن الرافعى	يناير
٦٩ – قال الرئيس	جمال عبد الناصر	فبراير
٧٠ – بناة النهضة العربية	جرجى زيدان	مارس
٧١ – محمد رسول البشر	توفيق الحكيم	ابريل
٧٢ – القصر المسحور	طه حسين ـ توفيق الحكيم	مايو
٧٣ – قصة الثورة المصرية	أنور السادات	يونيو
٧٤ – أسرار الثورة المصرية	أنور السادات	يوليو
٧٥ – عصفور من الشرق	توفيق الحكيم	أغسطس
٧٦ – البؤساء	فيكتور هيجو	سبتمبر
٧٧ – أخلاق للبيع	فتحى رضوان	أكتوبر
٧٨ – لا شيوعية ولا استعمار	عباس محمود العقاد	نوفمبر
٧٩ – قصة الوحدة العربية	أنور السادات	ديسمبر

عـــام ١٩٥٨

٨٠ - حياة المسيح	عباس محمود العقاد	يناير
٨١ - الفكاهة فى مصر	د. شوقى ضيف	فبراير
٨٢ - عش سليما بغير مرض	د. ابراهيم فهيم	مارس
٨٣ - شهر رمضان	خليل طاهر	ابريل
٨٤ - ســـارة	عباس محمود العقاد	مايو
٨٥ - صلاح الدين الأيوبى	محمد فريد أبو حديد	يونيو
٨٦ - يا ولدى هذا عمك جمال	أنور السادات	يوليو
٨٧ - ابليس	عباس محمود العقاد	أغسطس
٨٨ - جبران خليل جبران	ميخائيل نعيمه	سبتمبر
٨٩ - روائع شكسبير ج ١	تلخيص شارل ومارى لام	أكتوبر
٩٠ - سكينة بنت الحسين	د. بنت الشاطىء	نوفمبر
٩١ - روائع شكسبير ج ٢	تلخيص شارل ومارى لام	ديسمبر

عـــام ١٩٥٩

٩٢ - روائع شكسبير ج ٣	تلخيص شارل وماري لام	يناير
٩٣ - آخر الطريق	أمينة السعيد	فبراير
٩٤ - دروس من القـــــرآن الكريم	الامام محمد عبده	مارس
٩٥ - حديث عيسى بن هشام ج ١	محمد المويلحى	ابريل
٩٦ - حديث عيسى بن هشام ج ٢	محمد المويلحى	مايو
٩٧ - مـــذكـــرات نجـــيب الريحانى	نجيب الريحانى	يونيو
٩٨ - ليالى سطيح	حافظ ابراهيم	يوليو
٩٩ - اعترافات شبابى	ليو تولستوى	أغسطس
١٠٠ - عجائب وأساطير	د. شوقى ضيف	سبتمبر
١٠١ - المرأة في القـــرآن الكريم	عباس محمود العقاد	أكتوبر
١٠٢ - الملك والثوار فى عربة	فتحى رضوان	نوفمبر
١٠٣ - الدكتور زيفاجو ج	بوريس باسترناك	ديسمبر

عـــام ١٩٦٠

١٠٤ - الدكتور زيفاجو ج ٢	بوريس باسترناك	يناير
١٠٥ - مذكرات محكوم عليه بالاعدم	فيكتور هيجو	فبراير
١٠٦ - الاسـلام فى القـرن العشرين	عباس محمود العقاد	مارس
١٠٧ - تيودورا الممثلة المتوجة	شارل ديل	ابريل
١٠٨ - وثبة الاسلام	ابراهيم المصرى	مايو
١٠٩ - طريقك الى السعادة	د. جون دى شندلر	يونيو
١١٠ - أنت وغذاؤك	د. ابراهيم فهيم	يوليو
١١١ - قلب وتاج	اميل لودفيج	أغسطس
١١٢ - الاسـلام بين العلم والمدنية	الامام محمد عبده	سبتمبر
١١٣ - أبو نواس الحسن بن هانى	عباس محمود العقاد	أكتوبر
١١٤ - عش مطمئن النفس	د. فرانك س. كابريو	نوفمبر
١١٥ - الحب أبو العجائب	فكرى أباظة	ديسمبر

عـــام ١٩٦١

١١٦ – عاصفة فى قلب	صوفى عبد الله	يناير
١١٧ – عبقرية الامام على	عباس محمود العقاد	فبراير
١١٨ – الامبراطورية الاسلامية والأماكن المقدسة	د. محمد حسين هيكل	مارس
١١٩ – مذكرات الامام عبده	طاهر الطناحى	ابريل
١٢٠ – الزواج السعيد	عبد المنعم الزيادى	مايو
١٢١ – ذكريات الصبا والشباب	بوريس باسترناك	يونيو
١٢٢ – المرأة فى حياة العظماء	ابراهيم المصرى	يوليو
١٢٣ – هذا طريقنا	جمال عبد الناصر	أغسطس
١٢٤ – الانسان فى القرآن الكريم	عباس محمود العقاد	سبتمبر
١٢٥ – سعادتك فى ضوء علم النفس	د. ليلى ويذرهيد	أكتوبر
١٢٦ – غراميات فيكتور هوجو	لطفى سلطان	نوفمبر
١٢٧ – يوميات طبيب	د. كامل يعقوب	ديسمبر

عــام ١٩٦٢

١٢٨ - الساعات الأخيرة	طاهر الطناحى	يناير
١٢٩ - قصة حياتى	أحمد لطفى السيد	فبراير
١٣٠ - ضوء القمر وقصص أخرى	أحمد حسن الزيات	مارس
١٣١ - فن الزواج	د. أمير بقطر	أبريل
١٣٢ - الفلسفة القرآنية	عباس محمود العقاد	مايو
١٣٣ - خديجة أم المؤمنين	السيد عبد الحميد الزهراوى	يونيو
١٣٤ - الحب عند شهيرات النساء	ابراهيم المصرى	يوليو
١٣٥ - تفسير الأحلام	سيجموند فرويد	أغسطس
١٣٦ - أسطورة حب وقصص أخرى	فتحى رضوان	سبتمبر
١٣٧ - طريقك الى الشباب الدائم	د. مارجرى ويلسون	أكتوبر
١٣٨ - الاسلام دين الهداية والاصلاح	محمد فريد وجدى	نوفمبر
١٣٩ - رحلة فى دنيا المستقبل	هـ. ج. ويلز	ديسمبر

عــام ١٩٦٣

١٤٠ - تاريخ الحب ورسـائله الخالدة	ابراهيم المصرى	يناير
١٤١ - رسالة التوحيد	محمد عبده	فبراير
١٤٢ - أزمات الشباب	اوجست ايكورن	مارس
١٤٣ - هذه حياتى	عبد العزيز فهمى	ابريل
١٤٤ - الشيوعية الانسانية فى شريعة الاسلام	عباس محمود العقاد	مايو
١٤٥ - ٢٠ سنة فى حجرة الاعترافات	د. أمير بقطر	يونيو
١٤٦ - أبناؤنا وبناتنا	جان جاك روسو	يوليو
١٤٧ - مبادىء فى السياسة والأدب والاجتماع	أحمد لطفى السيد	أغسطس
١٤٨ - وجوه فى الظلام	أمينة السعيد	سبتمبر
١٤٩ - رجال عرفتهم	عباس محمود العقاد	أكتوبر
١٥٠ - غراميات نابليون بونابرت	جان سافان	نوفمبر
١٥١ - المسلمون والاسلام	الشيخ محمد عبده	ديسمبر

عـــام ١٩٦٤

١٥٢ – الى القرآن الكريم	الشيخ محمود شلتوت	يناير
١٥٣ – الغذاء السحرى	هـ. ج. ويلز	فبراير
١٥٤ – فلسطين والضمير الانسانى	محمد على علوبة	مارس
١٥٥ – الدين والحضارة الانسانية	د. محمد البهى	ابريل
١٥٦ – كازانوفا	ستيفان زفايج	مايو
١٥٧ – نوابغ النساء	صوفى عبد الله – نظمى لوقا	يونيو
١٥٨ – « أنا »	عباس محمود العقاد	يوليو
١٥٩ – ابتسامات ودموع وظلامات وأشعة	الآنسة مى	أغسطس
١٦٠ – الأئمة الأربعة	أحمد الشرباصى	سبتمبر
١٦١ – صقر قريش	على أدهم	أكتوبر
١٦٢ – أنت وأنا من أين جئنا وكيف نشأنا	د. أمين بقطر	نوفمبر
١٦٣ – حياة قلم	عباس محمود العقاد	ديسمبر

عـــام ١٩٦٥

١٦٤ محمد رسول الحرية	عبد الرحمن الشرقاوى	يناير
١٦٥ – البحث عن شكسبير	د. لويس عوض	فبراير
١٦٦ – اسرائيليات	أحمد بهاء الدين	مارس
١٦٧ – حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	عباس محمود العقاد	ابريل
١٦٨ – مختارات برناردشو	د. عمر مكاوى	مايو
١٦٩ – مختارات الحب والجمال عند الاغريق	دريني خشبة	يونيو
١٧٠ – عشرة أدباء يتحدثون	فؤاد دواره	يوليو
١٧١ – مذكرات شارلى شابلن ج ١	صلاح حافظ	أغسطس
١٧٢ – مذكرات شارلى شابلن	صلاح حافظ	سبتمبر
١٧٣ – كتابات لم تنشر	د. محمد مندور	أكتوبر
١٧٤ – ثورة الزنوج فى أمريكا	د. عبد الملك عوده	نوفمبر
١٧٥ – معارك فكرية	محمود أمين العالم	ديسمبر

عام ١٩٦٦

١٧٦ - أبو ذر الغفاري الاشتراكي الزاهد	عبد الحميد جودة السحار	يناير
١٧٧ - دليل المتفرج الذكي الى المسرح	ألفريد فرج	فبراير
١٧٨ - رسالة نهرو الى أنديرا	أحمد بهاء الدين	مارس
١٧٩ - على هامش الغفران	د. لويس عوض	ابريل
١٨٠ - أول ثورة على الاقطاع	محمد العزب موسى	مايو
١٨١ - الاشتراكية والفن	لأرنست فيشر	يونيو
١٨٢ - الجبرتي وكفاح الشعب	محمود الشرقاوي	يوليو
١٨٣ - دراسات في الحب	يوسف اسحاق الشاروني	أغسطس
١٨٤ - الغناء المصري	كمال النجمي	سبتمبر
١٨٥ - علم النفس والفن	يوسف مراد	أكتوبر
١٨٦ - طريق الثورة اليمنية	د. محمد على الشهاوي	نوفمبر
١٨٧ - ما يقال عن الاسلام	عباس محمود العقاد	ديسمبر

عـــام ١٩٦٧

١٨٨ - المســيح عـيـسى بن مريم	عبد الحميد جودة السحار	يناير
١٨٩ - الظرفاء	محمود السعدني	فبراير
١٩٠ - ابليس	عباس محمود العقاد	مارس
١٩١ - العلم للمجتمع	د. مصطفى عبد العزيز	ابريل
١٩٢ - صور وظلال من حياة شوقي وحافظ	طاهر الطناحي	مايو
١٩٣ - الشـرق والاســلام في أدب جوته	عبد الرحمن صدقي	يونيو
١٩٤ - شخصية مصر	د. جمال حمدان	يوليو
١٩٥ - الأدب الثـورى عـبـر التاريخ	محمد مفيد الشوباشي	أغسطس
١٩٦ - ممنوع الهمس	كامل زهيري	سبتمبر
١٩٧ - دراســات في النظم والمواهب	د. لويس عوض	أكتوبر
١٩٨ - اسرائيليات وما بعد العدوان	أحمد بهاء الدين	نوفمبر
١٩٩ - محمد رسول الحرية	عبد الرحمن الشرقاوي	ديسمبر

عــام ١٩٦٨

٢٠٠ - حياة المسيح	عباس محمود العقاد	يناير
٢٠١ - الصعلوكي في بلاد الأمريكي	محمود السعدني	فبراير
٢٠٢ - جيفارا الثائر الكوبي	جورج عزيز	مارس
٢٠٣ - استراتيجية الاستعمار والتحرير	د. جمال حمدان	ابريل
٢٠٤ - الاشتراكية والأدب ومقالات أخرى	د. لوس عوض	مايو
٢٠٥ - الله	عباس محمود العقاد	يونيو
٢٠٦ - سلامة موسى المفكر والانسان	محمود الشرقاوي	يوليو
٢٠٧ - أصوات وألحان عربية	كمال النجمي	اغسطس
٢٠٨ - المرض والشفاء من الفراعنة الى الآن	د. مريدني حنا	سبتمبر
٢٠٩ - بصراحة غير مطلقة	د. يوسف ادريس	أكتوبر
٢١٠ - الكوميديا المرتجلة في المسرح المصرى	د. على الراعى	نوفمبر
٢١١ - مطعم النور	عباس محمود العقاد	ديسمبر

عام ١٩٦٩

٢١٢ – ابن الرومى	عباس محمود العقاد	يناير
٢١٣ – تاريخ الفكر المصرى الحديث ج ١	د. لويس عوض	فبراير
٢١٤ – القاهرة	ديزموند ستيوارت	مارس
٢١٥ – تاريخ الفكر المصري الحديث ج ٢	د. لويس عوض	ابريل
٢١٦ – مطالعات فى الشئون الافريقية	جمال محمد أحمد	مايو
٢١٧ – اليهود والحركة الصهيونية	أحمد محمد غنيم غانم وأحمد أبو كف	يونيو
٢١٨ – محمود درويش – شاعر الأرض المحتلة	رجاء النقاش	يوليو
٢١٩ – قصة السينما فى مصر	سعد الدين توفيق	أغسطس
٢٢٠ – رامبو الشاعر المتشرد	صدقي اسماعيل	سبتمبر
٢٢١ – محمد فريد ذكريات ومذكرات	صبرى أبو المجد	أكتوبر
٢٢٢ – توفيق الحكيم فنان الفكر وفنان الفرجة	د. على الراعى	نوفمبر
٢٢٣ – الحسين أبو الشهداء	عباس محمود العقاد	نوفمبر
٢٢٤ – آراء حرة فى الدين والحياة	فتحى رضوان	ديسمبر

عام ١٩٧٠

٢٢٥ - الفنون والجنون فى أوربا	د.لويس عوض	يناير
٢٢٦ - من أسرار الساسة والسياسة - مصر ما قبل الثورة	محمد التابعى	فبراير
٢٢٧ - الفلسفة القرآنية	عباس محمود العقاد	مارس
٢٢٨ - أفكار معاصرة	أحمد بهاء الدين	ابريل
٢٢٩ - ألوان من الحب	عبد الرحمن صدقى	مايو
٢٣٠ - حوار مع اليسار الأوربى المعاصر	أمير اسكندر	يونيو
٢٣١ - ألوان من أدب الغرب	على أدهم	يوليو
٢٣٢ - زوجات مفترسات	د. عبد المحسن صالح	أغسطس
٢٣٣ - مطربون ومستمعون	كمال النجمى	سبتمبر
٢٣٤ - قلب المرأة	ابراهيم المصرى	أكتوبر
٢٣٥ - الاسلام دعوة عالمية	عباس محمود العقاد	نوفمبر
٢٣٦ - حديث رمضان	محمد مصطفى المراغى	نوفمبر
٢٣٧ - التلميذة الخالدة	أحمد الصاوى محمد	ديسمبر

عـــام ١٩٧١

٢٣٨ – دراسات أوربية	د. لويس عوض	يناير
٢٣٩ – أدباء معاصرون	رجاء النقاش	فبراير
٢٤٠ – أبو بكر / حوارى محمد	د. نظمي لوقا	مارس
٢٤١ – الاسلام والمسرح	محمد عزيزه - د. رفيق الصبان	ابريل
٢٤٢ – حكايات مسافر	د. مصطفى محمود	مايو
٢٤٣ – أحمد عرابى المفترى عليه ج ١	محمود الخفيف	يونيو
٢٤٤ – أحمد عرابى المفترى عليه ج ٢	محمود الخفيف	يوليو
٢٤٥ – يوميات فنان	فتوح نشاطى	أغسطس
٢٤٦ – فنون الكوميديا	د. على الراعى	سبتمبر
٢٤٧ – أنت .. كم تساوى	د. عبد المحسن صالح	أكتوبر
٢٤٨ – نور على نور	أحمد فراج	نوفمبر
٢٤٩ – مصرى فى ايرلندا	د. ابراهيم رشاد - صالح جودت	ديسمبر

عام ١٩٧٢

٢٥٠ – شعراء مصر	عباس محمود العقاد	يناير
٢٥١ – مسلمون ثوار	محمد عمارة	فبراير
٢٥٢ – أدب القفز بالمظلات	معين بسيسو	مارس
٢٥٣ – اكتشاف قارة	د. يوسف ادريس	ابريل
٢٥٤ – أشعب أمير الطفيليين	توفيق الحكيم	مايو
٢٥٥ – أضواء على الأدب الصهيونى	ابراهيم البراوى	يونيو
٢٥٦ – ساعات مع الأحرار	أحمد قاسم جودة	يوليو
٢٥٧ – أنور السادات	حمدى لطفى	يوليو
٢٥٨ – سندباد فى سيارة	د. حسين فوزى	أغسطس
٢٥٩ – سحر الغناء العربى	كمال النجمى	سبتمبر
٢٦٠ – البيت الاسلامى	مقداد يالجن	أكتوبر
٢٦١ – أيامه الأخيرة – قصة ملك باع نفسه للشيطان	حلمى سلام	نوفمبر
٢٦٢ – شعراء المجون	صالح جودت	ديسمبر

عـــام ١٩٧٣

٢٦٣ - قصة الأزهر رحاب العلم والايمان	أعلام الأدب والفكر والدين	يناير
٢٦٤ - أشـــعار وشــعراء من المهجر	محمد عبد الغنى حسن	فبراير
٢٦٥ - الجنس والجريمة	عبد المنعم الجداوى	مارس
٢٦٦ - الــرواية المصـــرية المعاصرة	يوسف الشارونى	ابريل
٢٦٧ - نوابغ الشباب	أحمد قاسم جود	مايو
٢٦٨ - الزجل العربى	أبو بثينة	يونيو
٢٦٩ - نجوم عرفتهم	فوميل لبيب	يوليو
٢٧٠ - رحـــلة فى عـــالم الحيوان والطير	ميشيل تكلا	أغسطس
٢٧١ - فنتازيا فرعونية	محمد عفيفى	سبتمبر
٢٧٢ - الثائر الاسلامى جمال الدين الأفغانى	الشيخ محمد عبده	أكتوبر
٢٧٣ - عصا الحكيم	توفيق الحكيم	نوفمبر
٢٧٤ - شاعر الكرنك « أحمد فتحى » حياته وشعره	صالح جودت	ديسمبر

عام ١٩٧٤

٢٧٥ - العاشق الصغير	موسى صبرى	يناير
٢٧٦ - خليل مطران شاعر الأقطار العربية	فوزى عطوى	فبراير
٢٧٧ - أطياف من حياة مى	طاهر الطناحى	مارس
٢٧٨ - سعادة لكل يوم	طاهر قنديل	ابريل
٢٧٩ - أخر العنقود- مجموعة قصصية قصيرة	د. سعيد عبده	مايو
٢٨٠ - خطابات غرامية	يوسف جوهر	يونيو
٢٨١ - أبى عزيز أباظة	عفاف عزيز أباظة	يوليو
٢٨٢ - عمالقة الصحافة	حافظ محمود	أغسطس
٢٨٣ - الصلاة « صحة ووقاية وعلاج »	د. محمد زكى سويدان	سبتمبر
٢٨٤ - صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك	محمد محمود رضوان	أكتوبر
٢٨٥ - أضـــواء على الأدب والحياة	ابراهيم المصرى	نوفمبر
٢٨٦ - م. ع. الهمشرى حياته وشعره	صالح جودت	ديسمبر

عــــام ١٩٧٥

٢٨٧ – سان جوست ملاك الارهاب	د. حسين فوزى	يناير
٢٨٨ – العذراء والليل	محمود البدوى	فبراير
٢٨٩ – بين الوفاء والفداء	د. أحمد الشرباصى	مارس
٢٩٠ – ملك هوايتــــه جمــع الساعات	تعريب : أحمد عبد المجيد	ابريل
٢٩١ – العرب والمسرح	محمد كمال الدين	مايو
٢٩٢ – عصير حياتهم	عبد التواب عبد الحى	يونيو
٢٩٣ – كائنـــات العــوالم الأخرى	ميشيل تكلا	يوليو
٢٩٤ – نمــاذج من الرواية العالمية	محمد الحديدى	أغسطس
٢٩٥ – رجال صدقوا	د. أحمد الشرباصى	سبتمبر
٢٩٦ – المحاسن والأضداد	الجاحظ	أكتوبر
٢٩٧ – يوميــــات نائب فى الأرياف	توفيق الحكيم	نوفمبر
٢٩٨ – أساطير وحواديت	صالح جودت	ديسمبر

عـــام ١٩٧٦

٢٩٩ – قاتل اسمه اللذة	عبد المنعم الجداوى	يناير
٣٠٠ – مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب	محمد محمود رضوان	فبراير
٣٠١ – هـؤلاء يقـولون فى السياسةوالأدب	عبد العال الحمامصى	مارس
٣٠٢ – ملامح الفـكر الأوربى المعاصر	د. صلاح عدس	ابريل
٣٠٣ – مصطفى صـــادق الرافعى	حسنين حسن مخلوف	مايو
٤٠٤ – مسرحيات فى الوهج والظل	علاء الدين وحيد	يونيو
٣٠٥ – الصور	محمد السباعى	يوليو
٣٠٦ – الصعود الى الهاوية	صالح مرسى	أغسطس
٣٠٧ – ان الله اشترى	د. أحمد الشرباصى	سبتمبر
٣٠٨ – العسـكرية المصـرية فوق سيناء	حمدى لطفى	أكتوبر
٣٠٩ – مع الله فى السماء	د. أحمد زكى	نوفمبر
٣١٠ – بلـزاك أميـر الرواية الفرنسية	أحمد الصاوى	ديسمبر

عام ١٩٧٧

٣١١ - أعلام الفكر الأوربى من سقراط الى سارتر ج ١	عثمان نويه	يناير
٣١٢ - أعلام الفكر الأوربى ج ٢ من سقراط الى سارتر	عثمان نويه	فبراير
٣١٣ - مجنون سعاد	د. زكى مبارك	مارس
٣١٤ - القصة القصيرة نظريا وتطبيقا	يوسف الشارونى	ابريل
٣١٥ - أرض الأحلام	د. زكى نجيب محمود	مايو
٣١٦ - سبعة أدباء من افريقيا	جيرالدمور - علي شلش	يونيو
٣١٧ - ثوار يوليو الوجه الآخر	حمدى لطفي	يوليو
٣١٨ - أحاديث منتصف الليل	د. حسين مؤنس	أغسطس
٣١٩ - الوصول الى السعادة	برتراند رسل - نظمى لوقا	سبتمبر
٣٢٠ - أحمد شوقى - شاعر الوطنية	أحمد زكى عبد الحليم	أكتوبر

٣٢١ - الرؤيا الابداعية فى أدب يوسف السباعى	عبد العزيز شرف - رجاء شمير	نوفمبر
٣٢٢ - لا تخف	د. ادوارد سبنسر كولز - د. أمير بقطر	ديسمبر

عـــام ١٩٧٨

٣٢٣ - ديبز الطفل الذى فقد نفسه	أمينة السعيد	يناير
٣٢٤ - الأبطــال	توماس كارلايل - محمد السباعى	فبراير
٣٢٥ - هذا هو الحب	ستندال	مارس
٣٢٦ - نساء فى حياة برناردشو	هـ. بيرسون	ابريل
٣٢٧ - اعرف نفسك	د. سبنسر كولز	مايو
٣٢٨ - أحاديث جدتى	د. سهير القلماوى	يونيو
٣٢٩ - لغز أم كلثوم	رجاء النقاش	يوليو
٣٣٠ - القصة القرآنية	فتحى رضوان	أغسطس
٣٣١ - عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين	د. محمد عمارة	سبتمبر
٣٣٢ - طريق السعادة	د. فيكتور بوشيه	أكتوبر
٣٣٣ - النهـر	عبد الله الطوخى	نوفمبر
٣٣٤ - أعلام الفن القصصى ج ١ -	هنرى توماس ودانالى توماس	ديسمبر

عــام ١٩٧٩

٣٣٥ – أعلام الفن القصصى ج ٢	هنري توماس ودانالى توماس	يناير
٣٣٦ – الاسلام والوحدة	د. محمد عمارة	فبراير
٣٣٧ – روائع الفكر العالمى	ترجمة محمود مسعود	مارس
٣٣٨ – محمد الثائر الأعظم	فتحي رضوان	ابريل
٣٣٩ – العالم كما أراه	برتراند راسل	مايو
٣٤٠ – الحضارة العربية	ابراهيم أحمد العدوى	يونيو
٣٤١ – عش مائة عام	د. جايلورز هاورد	يوليو
٣٤٢ – الرسول «لمحات من حياته وأنوار من هديه»	د. عبد الحليم محمود	أغسطس
٣٤٣ – فن الحياة	أندريه موروا	سبتمبر
٣٤٤ – الأرواح المتمردة	جبران خليل جبران	أكتوبر
٣٤٥ – الاسلام والمرأة فى رأى – الامام محمد عبده	د. محمد عمارة	نوفمبر
٣٤٦ – الناس والعصر	نصر الدين عبد اللطيف	ديسمبر

عام ١٩٨٠

٣٤٧ - العرب تاريخ وحضارة ج ١	أنتونى نانتج - محمود مسعود	يناير
٣٤٨ - العرب تاريخ وحضارة ج ٢	أنتونى نانتج - محمود مسعود	فبراير
٣٤٩ - شكوى الموظف الفصيح	يوسف الشارونى	مارس
٣٥٠ - قاسم أمين وتحرير المرأة	د. محمد عمارة	ابريل
٣٥١ - أولادنا والأمراض النفسية	د. كلير فهيم	مايو
٣٥٢ - مأساة عبد الحكيم عامر	حمدى لطفى	يونيو
٣٥٣ - رسالة التوحيد - للإمام محمد عبده	د. محمد عمارة	يوليو
٣٥٤ - مذكرات الأميرة جويدان زوجة الخديوى عباس الثانى	الأميرة جويدان	أغسطس

٣٥٥ - رحلة بين العقل والوجدان	د. محمد كمال جعفر	سبتمبر
٣٥٦ - ذكرى أباظة - فارس المعارضة	فاروق أباظة	أكتوبر
٣٥٧ - حقبة من الزمان	أحمد عبد السلام الكرداني	نوفمبر
٣٥٨ - تجديد الفكر الاسلامي - محمد عبده ومدرسته	د. محمد عمارة	ديسمبر

عام ١٩٨١

٣٥٩ - المسرح والكوميديا	محمد فكرى	يناير
٣٦٠ - تجارة الرق والرقيق	جرن هنرك - فينست ماردنج	فبراير
٣٦١ - مؤلفات رائدة لمؤلفين رواد	محمد عبد الغنى حسن	مارس
٣٦٢ - اليهود تاريخا وعقيدة	د. كامل سعفان	ابريل
٣٦٣ - مصطفى كامل - أضواء على حياته	نجيب توفيق	مايو
٣٦٤ - أمين الرافعى شهيد الوطنية المصرية	صبرى أبو المجد	يونيو
٣٦٥ - السياسة الشرعية	شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية	يوليو
٣٦٦ - من الموسكى الى الحسينية	جاذبية صدقى	أغسطس
٣٦٧ - مذكرات هدى شعراوى	هدى شعراوى	سبتمبر
٣٦٨ - منهج القرآن فى بناء المجتمع	الشيخ محمود شلتوت	أكتوبر
٣٦٩ - أطفالنا وكيف نسوسهم	يعقوب فام	نوفمبر
٣٧٠ - مع الشوامخ فى أبراجهم	ترجمة محمود مسعود	ديسمبر

عــام ١٩٨٢

٣٧١ - أنت وقلبك - هـ. م. مارفى	ترجمة : د. ابراهيم فهيم	يناير
٣٧٢ - حكم قراقوش	د. عبد اللطيف حمزة	فبراير
٣٧٣ - لا تقتل نفسك	د. بيتر شتاينكرون	مارس
٣٧٤ - تيــــارات الفــــكر الاسلامى	د. محمد عمارة	ابريل
٣٧٥ - قصة حياتى	أحمد لطفى	مايو
٣٧٦ - ٢٠ سنة فى حجرة الاعتراف	د. أمير بقطر	يونيو
٣٧٧ - حديث رمضان	محمد مصطفى المراغى	يوليو
٣٧٨ - تيــــارات اليقظـــة الاسلامية الحديثة	د. محمد عمارة	أغسطس
٣٧٩ - التصوف العربى	محمد ياسر شرف	سبتمبر
٣٨٠ - أطفالنا والتخلف العقلى	د. كلير فهيم	أكتوبر
٣٨١ - عش شابا طول حياتك	د. فيكتور بوجومولتز	نوفمبر
٣٨٢ - العرب والتحدى	د. محمد عمارة	ديسمبر

عام ١٩٨٣

٣٨٣ - الاسلام بين العلم والمدنية	د. نعمات أحمد فؤاد	يناير
٣٨٤ - أزمة الشباب	د. نعمات أحمد فؤاد	فبراير
٣٨٥ - الأزهر بين السياسة وحرية الفكر	د. محمد رجب البيومى	مارس
٣٨٦ - ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر	جمال حماد	ابريل
٣٨٧ - الخلافة ونشأة الأحزاب الاسلامية	د. محمد عمارة	مايو
٣٨٨ - الاسلام دين الفطرة والحرية	الشيخ عبد العزيز جاويش	يونيو
٣٨٩ - الى القرآن الكريم	الشيخ محمود شلتوت	يوليو
٣٩٠ - الأسطورة فى الأدب العربى	د.أحمد شمس الدين الحجاجى	أغسطس
٣٩١ - ملامح القاهرة فى ١٠٠٠ سنة	جمال الغيطانى	سبتمبر
٣٩٢ - دنيا الصحافة	محسن محمد	أكتوبر
٣٩٣ - الجريمة والشباب	عبد المنعم الجداوى	نوفمبر
٣٩٤ - المدرسة والأسرة والصحة النفسية لأبنائنا	د. كلير فهيم	ديسمبر

عـــام ١٩٨٤

٣٩٥ – الاحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم	محمد عبد الواحد حجازى	يناير
٣٩٦ – الطائفية والحكم فى لبنان	جمال الألفى	فبراير
٣٩٧ – راقصون بلا حكومة	راجي عنايت	مارس
٣٩٨ – المعتزلة وأصول الحكم	د. محمد عمارة	ابريل
٣٩٩ – المعتزلة والثورة	د. محمد عمارة	مايو
٤٠٠ – مواقف تاريخية لعلماء الاسلام	د. محمد رجب البيومى	يونيو
٤٠١ – عش مطمئن النفس	د. فرانك كابريو	يوليو
٤٠٢ – طريقك الى الشباب الدائم	د. مارجيرى ويلسون	أغسطس
٤٠٣ – مذكرات محكوم عليه بالاعدام	فيكتور هيجو	سبتمبر
٤٠٤ – مع المازنى	فاروق خورشيد	أكتوبر
٤٠٥ – التراث والحضارة	د. نعمات أحمد فؤاد	نوفمبر
٤٠٦ – الأحزاب السياسية فى مصر	د. يونان لبيب رزق	ديسمبر

عـــام ١٩٨٥

٤٠٧ - حكايات الأقدمين	د. شكرى محمد عياد	يناير
٤٠٨ - الدين والدولة والثورة	رفعت سيد أحمد	فبراير
٤٠٩ - ١٠ مسرحيات مصرية (عرض ونقد)	بهاء طاهر	مارس
٤١٠ - شخصية المحتال فى المقامة والحكاية	د. على الراعى	ابريل
٤١١ - رواد الفن التشكيلى	بدر الدين أبو غازى	مايو
٤١٢ - ابن تيمية - المفترى عليه	صلاح عزام	يونيو
٤١٥ - في بيت أحمد أمين	حسين أحمد أمين	يوليو
٤١٦ - أوراق مصرية	د. عبد الله خورشيد	أغسطس
٤١٧ - التاريخ الذى أحمله على ظهرى (جزءان)	د. سيد عويس	سبتمبر
٤١٨ - مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى	إعداد : د. محمد حرب	أكتوبر
٤١٩ - الحلم والحياة فى صحبة يوسف ادريس	د. ناجي نجيب	نوفمبر
٤٢٠ - سكة سفر	محمد عفيفى	ديسمبر

عـــام ١٩٨٦

٤٢١ - الأفغانى ومحمد عبده	و. س. بلنت	يناير
٤٢٢ - رحلاتى حول العالم - جزءان	د. نوال السعداوى	مارس
٤٢٣ - المستقبلية .. والمجتمع المصرى	هانى عبد المنعم	ابريل
٤٢٥ - سلام على النبى	مصطفى بهجت بدوى	مايو
٤٢٦ - المجتمـــع والشريعـــة والقانون	د. محمد نور فرحات	يونيو
٤٢٧ - صفحات من حياتى	للشاعرة : جليلة رضا	يوليو
٤٢٨ - فى بلاد السندباد	فاروق خورشيد	أغسطس
٤٢٩ - التاريخ الذى أحمله على ظهرى ج ٢	د. سيد عويس	سبتمبر
٤٣٠ - محمد على الكبير	شفيق غربال	أكتوبر
٤٣١ - نور الأزهـــر فى السياسة	د. سعيد اسماعيل	نوفمبر
٤٣٢ - المساحة الفارغة	بيتر بروك - ترجمة : فاروق عبد القادر	ديسمبر

عـــام ١٩٨٧

٤٣٣ - لا للفقــر فى ظل القرآن	أحمد سعيد	يناير
٤٣٤ - فلســفة العــدل الاجتماعى	د. نصار عبد الله	فبراير
٤٣٥ - فى البدء كانت الكلمة	د. شكرى عياد	مارس
٤٣٦ - حبــوبتى الطفــلة المجنونة الرائعة	مارى كراكن - ترجمة أمينة السعيد	أبريل
٤٣٧ - المسلمون والاسلام	محمد عبده	مايو
٤٣٨ - كلمــات فى العـروبة والاسلام	كمال النجمى	يونيو
٤٣٩ - كلمات مصرية	حلمى سلام	يوليو
٤٤٠ - المنقـذ - قـراءة لقلب أفلاطون	عبد الغفار مكاوى	أغسطس
٤٤١ - أيام وليـالى السندباد (رواية)	ألفريد فرج	سبتمبر
٤٤٢ - رسالة فى الطريق الى ثقافتنا	محمود محمد شاكر	أكتوبر
٤٤٣ - مـن وحى المجتمـع		

المصرى المعاصر	د. سيد عويس	نوفمبر
٤٤٤ - السـفر على جـواد		
الشعر	فتحى سعيد	ديسمبر

عام ١٩٨٨

٤٤٥ - ثلثا قرن من الزمان (مذكرات)	عبد الله عنان	يناير
٤٤٦ - الجميلات يذهبن الى المحكمة	عبد المنعم الجداوى	فبراير
٤٤٧ - عالم الأدب الشعبى العجيب	فاروق خورشيد	مارس
٤٤٨ - كوبا .. للتمساح دموع حقيقية	فوميل لبيب	أبريل
٤٤٩ - أمريكا الحلم والواقع	د. على شلبى	مايو
٤٥٠ - فلسطين .. النكبة الأولى ١٩٤٨ - يوميات طبيب مصرى	د. حسان حتحوت	يونيو
٤٥١ - الكاتب المصرى وأدب القصة العالمى	د. سيد كريم	يوليو
٤٥٢ - سعد زغلول زعيم الثورة	عباس محمود العقاد	أغسطس
٤٥٣ - جوائز الأوسكار	محمود عبد الرحمن الزواوى	سبتمبر
٤٥٤ - لا للعنف	د. سيد عويس	أكتوبر
٤٥٥ - عالم نجيب محفوظ من خلال رواياته	د. رشيد العنانى	نوفمبر

٤٥٦ - أوراق من الرماد والجمـــــر - متابعـات مصرية وعربية فاروق عبد القادر ديسمبر

عام ١٩٨٩

٤٥٧ - الأعمدة السبعة للشخصية المصرية	د. ميلاد حنا	يناير
٤٥٨ - البحث عن ملامح قومية	محمود بقشيش	فبراير
٤٥٩ - معالم التقريب بين المذاهب الاسلامية	محمد عبد الله المحامى	مارس
٤٦٠ - تخريب المسرح المصرى فى السبعينات والثمانينات	فؤاد دواره	ابريل
٤٦١ - مذكرات الزعيم أحمد عرابى	أحمد عرابى	مايو
٤٦٢ - القيصر الأصفر	د. عبد الغفار مكاوى	يونيو
٤٦٣ - من وحى المجتمع المصرى المعاصر	د. سيد عويس	يوليو
٤٦٤ - دع الخجل واستمتع بالحياة	ترجمة محمد عبد المنعم جلال	أغسطس
٤٦٥ - الغراب الأبيض أو ظاهرة سليمان رشدى	زهير على شاكر	سبتمبر
٤٦٦ - المسرح الضاحك	د. نجوى عانوس	أكتوبر
٤٦٧ - هذه المرأة لى	جورج سيمنون - تقديم الطاهر مكى	نوفمبر
٤٦٨ - برناردشو والاسلام	محمود على مراد	ديسمبر

عـــام ١٩٩٠

٤٦٩ – نجيب محفوظ وأصداء معاصريه	كمال النجمى	يناير
٤٧٠ – مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية	عبد الرحمن الرافعى	فبراير
٤٧١ – الفيديو والناس	د. نوال محمد عمر	مارس
٤٧٢ – اغاثة الأمة بكشف الغمة	تقى الدين أحمد بن على المقريزى	ابريل
٤٧٣ – أمريكا يا مريكا	محمود السعدنى	مايو
٤٧٤ – البنك الدولى والعالم العربى	د. ابراهيم شحاتة	يونيو
٤٧٥ – الجريمة فى الرواية العربية	عبد المنعم الجداوى	يوليو
٤٧٦ – اللغة والدرس والتقاليد	د. زكى مبارك	أغسطس
٤٧٧ – نحن والغرب	د. شكرى عياد	سبتمبر
٤٧٨ – مع الأيام – شىء من الذكريات	د. ابراهيم بيومى مدكور	أكتوبر
٤٧٩ – حواء ذات الوجوه الثلاثة	أمينة السعيد	نوفمبر
٤٨٠ – هجـــرة اليهـــود السوفييت	د. عبد الوهاب المسيرى	ديسمبر

عـــام ١٩٩١

٤٨١ - خليها على الله	يحيى حقى	يناير
٤٨٢ - كيف أصبحت روائيا	ارسكين كالدويل	فبراير
٤٨٣ - قصة البرلمان المصرى	د. يونان لبيب رزق	مارس
٤٨٤ - مولد البطل فى السيرة الشعبية	د.أحمد شمس الدين الحجاجى	أبريل
٤٨٥ - القلق وقيود من الوهم	د. عبد الستار ابراهيم	مايو
٤٨٦ - محمد عبد الوهاب	لطفى رضوان	يونيو
٤٨٧ - عبد الناصر	فتحى رضوان	يوليو
٤٨٨ - أوبـرا تريســـتان وايزولدا	ريتشارد فاجنر - ترجمة بدر توفيق	أغسطس
٤٨٩ - رسالة فى الطريق الى ثقافتنا	محمود محمد شاكر	سبتمبر
٤٩٠ - السينما والعصر	محمد فحى	أكتوبر
٤٩١ - الثقافة والتنمية	د. أنور عبد الملك	نوفمبر
٤٩٢ - الديمقراطية وثورة ٢٣ يوليو	طارق البشرى	ديسمبر

عـــام ١٩٩٢

٤٩٣ - كناسة الدكان (سيرة ذاتية)	يحيى حقى	يناير
٤٩٤ - محاكمة جلجاميش	د. عبد الغفار مكوى	فبراير
٤٩٥ - سير عربية	مصطفى نبيل	مارس
٤٩٦ - الشخصية اليهودية فى أدب احسان عبد القدوس	د. رشاد عبد الله الشامى	ابريل
٤٩٧ - طوق الحمامة	للامام الفقيه ابن حزم الأندلسى - ضبط نصه د. الطاهر أحمد مكى	مايو
٤٩٨ - العبقرى والكون - ستيفن هوكنج	جون بوزلو ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمى	يونيو
٤٩٩ - مثل .. وموال	د. يحيى الرخاوى	يوليو
٥٠٠ - الحملة الفرنسية بين الأسطورة والحقيقة	د. ليلى عنان	أغسطس

رقم الايداع : ٥٥٢٧ / ١٩٩٢

I. 5. B. N

977 - 07 - 0141 - 2